الأنبياء وتكريم المرأة

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم

الأنبياء وتكريم المرأة

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ
ح فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك محمد
الأنبياء وتكريم المرأة/ عبد الملك محمد القاسم - الرياض، ١٤٢٥هـ
١٩٠ ص ؛ ٢٤ سم
ردمك: ١ - ٧٢٢ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١ - قصص الأنبياء ٢ - قصص القرآن ٣ - المرأة أ - العنوان
ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٢٥/٤٥١٨

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٤٥١٨
ردمك: ١ - ٧٢٢ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع

المكتب الرئيس: هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

فروع دار القاسم للنشر

الرياض هاتف: ٤٤٥٢٠٤٥ - فاكس: ٤٤٥٢٠٤٥

جدة: هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٢١٩١

الدمام: هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١

www.dar-alqassem.com
sales@dar-alqassem.com

الأنبياء وتكريم المرأة

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم
الرياض ١١٤٤٢ ص . ب ٦٣٧٣
ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الصالحات العابدات القانتات. . .

إلى أمهات وزوجات وبنات المسلمين. . .

مربيات الأجيال، وأمهات الأبطال. . .

نداء. . . في زمن تعصف فيه الفتن من كل حدب وصوب.

اقرئي . . . لتعرفي فَضْل الله عليكِ. . .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد خلق الله ـ عز وجل ـ آدم وخلق منه زوجه، وجعل لكل منهما خصائص ومميزات، وفوارق جسدية وذهنية، وسخر كل منهما إلى عمل يناسبه وحياة تلائمة؛ ليكون هناك تكامل وتكافل، وود ووئام، ودنيا مستقرة، وحياة مستمرة.

ولما انحرف البعض عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، طغى القوي وظُلم الضعيف، وأُخذت الحقوق، وانتكست الفطر السليمة، حتى جاء أنبياء الله بالشرائع الإلهية التى أعطت كل ذي حق حقه، وكل مخلوق حاجته.

وهكذا مرت عصور بين فترات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فكلما بعث نبي أصلح ما اعوجّ وأقام ما تُرك. إلى أن جاء خاتم الأنبياء محمد ﷺ بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك؛ فأعاد منزلة المرأة وكرّمها، وصان حقّها، ورفع قدرها، وأظهر مكانتها.

فكان هذا الكتاب نبراساً ومعلماً؛ جَمَعْتُ فيه ما تيسر من حال الأنبياء مع المرأة - أمّاً، وأختاً، وزوجة، وابنة. أو امرأة من عامة النساء؛ مسلمة كانت أو كافرة - ليتبين حال الأنبياء ومواقفهم ومعاملاتهم. إحقاقاً للحق، ودفعاً للشبه، وإظهاراً لأعظم رسالة وأجلِّ كتاب.

وقدمتُ قبل سيرهم العطرة، حال المرأة في عصور مختلفة حتى يتضح الأمر، ويظهر الفرق، وتتجلى الحقيقة.

د. عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

تعريف النبي والرسول

الأنبياء والرسل صفوة خلق الله، اصطفاهم الله ـ عز وجل ـ لحمل رسالته، وتبليغها، والقيام بأمرها. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ولكلمة نبي في اللغة ثلاثة معان، يرجع أصل اشتقاقها إليها، وهي:

أولاً: معنى النبأ؛ أي الخبر، فيكون اشتقاق الكلمة من الفعل نَبأ، ونبَّأ، وأنبأ، أي أخبر.

ثانياً: معنى النبوة والنَّباوة: أي العلو والارتفاع، فيكون اشتقاق الكلمة من الفعل «نبا» بدون همزة، أي: علا وارتفع.

ثالثاً: معنى الطريق الواضح.

وكل هذه الثلاث تجتمع في معنى النبي، وهي: النبأ، والعلو، والطريق الواضح.

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه.

وقد اختلف العلماء في تعريف النبي والرسول.

فقيل: إن الرسول من بعث برسالة وأوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه والعمل به. فإن أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي من البشـر، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. وهذا التعريف هو المشهور عند أهل العلم.

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً ورسولاً ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. وخص منهم أولي العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

لماذا الأنبياء؟

في ذكر مكانة الأنبياء ومنزلتهم وعلو كعبهم، وتكريمهم للمرأة، أمر في غاية الأهمية؛ وذلك لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هم أول من رعى حقوق المرأة، وهم القدوة والأسوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولذلك فهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ:

أولاً: أهل للاقتداء والتأسّي بأفعالهم وأقوالهم كما أمر الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ثانياً: أن ما ذُكر عن الأنبياء والمرسلين قد جاء في كتاب لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فاخترت منهم ـ عليهم السلام ـ من ذكره الله ـ عز وجل ـ وقص علينا قصصه في القرآن العظيم.

ثالثاً: ثبت بالأحاديث الصحيحة المعروفة من أحاديث المصطفى

ﷺ، ليبرز هذا الجانب المضيء بالتطبيق العملي والفعلي في حياة الأنبياء.

رابعاً: تنوعت مكانة المرأة؛ فذكرت حال الأنبياء مع أمهاتهم، وإخواتهم وزوجاتهم، وبناتهم، وحفيداتهم، بل ومع عامة النساء. فالأنبياء لهم أسر وبيوت وحياة يومية، فيها ليل ونهار، وفرح وترح، وسفر وإقامة، ومواقف متنوعة، وحالات مختلفة.. يحقّ فيها الحق وينطق به. ومن كان مُتأَسٍّ فَلْيَتَأَسَّ بهؤلاء الأخيار ـ صفوة خلق الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

من هي المرأة؟

المرأة: هي أنثى الإنســان، كما أن الرجل هو ذكر الإنسان البالغ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] وفسره الحديث الصحيح: «**إن المرأة خلقت من ضلع**» وهو ضلع الصدر، وهذا فيه إشــارة ظاهرة إلى طبيعة التكامل بــين الرجل والمرأة، فالمرأة خلقــت من الرجل ومن ضلعه تحديداً لا ليخنقها، بل ليعطف عليها بجناحه حبّاً وحماية لها كما يفعل بأضلاع صدره، وهي كذلك لتبقى في محلها، فإن نشوز عظم الصدر مؤلم، بل عليها أن ترق وتلين له كما الضلع في رقته ولينه.

وامــتن الله ـ عز وجل ـ على بنــي آدم بالزوجة والذرية؛ فقال ســبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

وقــال تعالــى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢].

وقـــد جعل الله ـ عز وجل ـ خصائص جســمية ونفســية لكل منهما، فالرجل يكد ويكدح ويسعى ويتحمل المشاق، والمرأة تحمل وتلد وترضع وتربي، وتقوم بأعباء المنزل، وتعين زوجها على هموم الدنيـا وغمومها، وقد نُظمت ورتبت تلــك الأدوار والمهام كل بما يناسب وظيفته التي خلقه الله عليها.

المرأة عند اليهود

نطل إطلالة سريعة لنرى واقع المرأة في حياة الأمم السابقة والقرون السالفة، حتى نرى الفرق والبون بين الأمم، فنبدأ بالمرأة عند اليهود، ومكانتها ومنزلتها، والنظرة إليها.

اليهود: هم أتباع موسى ـ عليه السلام ـ من نسل يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم، وسموا يهوداً نسبه إلى يهوذا بن يعقوب الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل، وكتابهم (التوراة)، وهم الذين نعتهم الله ـ عز وجل ـ في القرآن بالمغضوب عليهم.

وهم أبناء شعب أو قومية قليلة، انتشروا منذ القرن الثاني للميلاد في بلاد شتى، ويتركزون حالياً في أرض فلسطين المحتلة، وأمريكا الشمالية، ومناطق أخرى من العالم.

كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادمة، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، فضلاً على أنه يوجد حالات ترث فيها المرأة مثل الرجل بل وربما أكثر، واليهود يعتبرون المرأة لعنة؛ لأنها أغوت آدم، وعندما يصيبها الحيض لا يجالسونها ولا يؤاكلونها، ولا تلمس

وعاء حتى لا يتنجس، وكان بعضهم ينصب للحائض خيمة ويضع أمامها خبزاً وماءاً، ويجعلها في هذه الخيمة حتى تطهر.

ذكر ويليام باركلى مكانة المرأة في اليهوديّة بقوله: كان مقام المرأة رســمياً مُتدنياً جداً. لم تكن المرأة تُعدّ كبشر في الشريعة اليهودية، وإنّما كانت لا تُعَدّ شيئاً. كانت تحت سلطان أبيها أو زوجها، كانت ممنوعة من تعلّم الشــريعة، وكان يعدّ تعليم المرأة الشــريعة كإلقاء اللؤلؤ إلى الخنزير.

المرأة عند النصارى

النصارى: هم في الأصل أتباع عيسى ـ عليه السلام ـ ثم حرفوا وبدلوا كتابهم المنزل (الإنجيل) وسماهم الله ـ عز وجل ـ في القرآن بالضالين. وكانت مساكنهم في مدينة الناصرة شمال فلسطين، ومنه اشتقت تسميتهم بالنصارى، وشاعت تسميتهم بالمسيحيين.

وقد هال رجال النصرانية الأوائل ما رأوا في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات، فاعتبروا المرأة مسئولة عن هذا كله، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات وتختلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء، فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن العزب أكرم عند الله من المتزوج، واعلنوا أنها باب الشيطان، وأن العلاقة بالمرأة رجس في ذاتها.

قال سوسنام الملقب بالقديس: إنها شر لا بد منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ومصيبة مطلية مموهة.

وفي القرن الخامس اجتمع اللاهوتيين ليبحثوا ويتساءلوا في مجمع ماكون: هل المرأة جثمان بحت؛ أم هي جسد ذو روح يناط به

الخلاص والهلاك؟ وغلب على آرائهم إنها خلو من الروح الناجية، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم ـ عليها السلام ـ، فالدين النصراني المحرف الذي ينتمي إليه العالم الغربي اليوم يرى أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور، وباب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحركه وتحمله على الآثام.

ومن أساسيات النصرانية المحرفة: التنفير من المرأة وإن كانت زوجة، يقول أحد رجال الكنيسة؛ بونافنتور: إذا رأيتم المرأة، فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً، بل ولا كائناً وحشياً، وإنما الذي ترونه هو الشيطان بذاته، والذي تسمعون به هو صفير الثعبان.

وقال بولس: أعتقد أن حَوّاء هي التي أخطأت أوّلاً، ثم أغوت آدم فانقاد وراءها وأخطأ ثانياً.

وقد أصدر البرلمان الإنكليزي قراراً في عصر هنري الثامن ملك انكلترا، يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد (أي الإنجيل)؛ لأنها تعتبر نجسه.

وتذكر بعض المصادر أنه قد شكل مجلس اجتماعي في بريطانيا خصيصاً لتعذيب النساء، وذلك سنة ١٥٠٠م. وكان من ضمن مواده تعذيب النساء وهن أحياء بالنار. بل أن القانون الإنجليزي كان

يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات (نصف شلن)، وقد حدث أن باع انكليزي زوجته عام ١٩٣١م بخمسمائة جنيه.

ويُعبر أدريان ثاتشر عن نظرة الكنيسة للمرأة، فيقول: لقد بذل العالم الغربي الكثير في القرن الأخير ليتجاوز احتقاره للنساء، لكنّ هذا الاحتقار لا يزال ثابتًا في الكنيسة.

المرأة عند الهنود

الديانة الهندوسية تشكل نسبة كبيرة من سكان القارة الهندية الذين يعتنقون البوذية، وهي ليست ديناً سماوياً، بل خليط من الخرافات والدجل.

والمرأة عندهم محتقرة، ومهانة، ذكر في شرائع الهندوس أنه: ليس الصبر المقدر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة.

ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه حية على موقد واحد. واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطِلَتْ عَلَى كُرْهٍ من رجال الدين الهنود وكانت قرباناً للآلهة لترضى، وفي بعض مناطق الهند القديمة شجر يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة.

ويذكر جوستاف لوبون: أن المرأة في الهند تعدّ بعلها ممثلاً للآلهة في الأرض. وتعد المرأة العزاب والمرأة الأيم على الخصوص من المنبوذين من المجتمع الهندوسي، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوانات.

ومن الأيامى الفتاة التى تفقــد زوجها في أوائل عمرها، فموت الرجل الهندوسي قاصم لظهر زوجته إذا فقدت زوجها، وعد نظرها مصدر لكل شؤم على ما تنظر إليه، وعدت مدنسة لكل شيء تمسه، وأفضل شــيء لها أن تقذف نفســها في النار التي يحرق بها جثمان زوجها، وإلا لقيت الهوان الذي يفوق عذاب النار.

المرأة عند الأمم السابقة

لقد كانت المرأة عند جميع الأمم تعاني من اضطهاد شنيع، حين انتكست الفطر، وابتعدت الأمم عن شريعة الله إلى ما زينته لهم شياطينهم من قوانين وضعية، فمثلاً:

المرأة عند الرومان:

سلب القانون الروماني المرأة معظم حقوقها، فقبل الزواج تكون ملكاً لرب الأسرة، له الحق في قتلها وبيعها، وبعد الزواج يحل زوجها مكان والدها في جميع حقوقه، وهي لا ترث عندهم، لأنها ليس لها حق في الحرية، ولا عقل لها. ويقولون: إنها صاحبة عته طبيعي.

وكان شعارهم فيما يتعلق بالمرأة إن قيدها لا ينزع، ونيرها لا يخلع. ومن عجيب ما ذكرته بعض المصادر ـ وهو مما لا يكاد يصدق ـ أن مما لاقته المرأة في العصور الرومانية تحت شعارهم المعروف ليس للمرأة روح، تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيول، ويسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت.

المرأة عند الفرس:

وفي حضارة الفرس المجوس كانت المرأة مسلوبة الحقوق، وكانت من ممتلكات الزوج، وله أن يقتلها، أو يتفضل عليها بالحياة إن شاء، ويرون أنها نجسة، وأنها تنجس كل ما مسته يدها في حال حيضها ونفاسها، فيضعونها في خيمة صغيرة بعيدة عن بيوتهم، وعلى الخادم إذا أرسل ليعطيها طعامها أن يلف مقدم وجهه ويديه خشية أن يتنجس.

وقد أبيح الزواج بالأمهات والأخوات، والعمات والخالات، وبنات الأخ وبنات الأخت، وفضلاً عن هذا كله كانت المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة، يحق له أن يحكم عليها بالموت، أو أن يُنعم عليها بالحياة.

المرأة عند الصينيين:

ينظر الصينيون إلى المرأة على أنها معتوهة، لا يمكنها قضاء أي شأن من شؤونها إلا بتوجيه من الرجل، وهي محتقرة مهانة، لا حقوق لها، ولا يحق لها المطالبة بشيء منها، بل يسمون المرأة بعد الزواج (فو) (أي: خضوع).

وشبهت المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال، وللصيني الحق في أن يبيع زوجته كالجارية، وإذا ترملت المرأة الصينية

أصبـــح لأهل الزوج الحق فيها كثروة تورث، وللصيني الحق في أن يدفن زوجته حية.

المرأة عند الإغريق:

لـــم تكن المرأة في حضارة الفلاســفة اليونانية بأحســـن حال من أختها الرومية، فقد كانت تُعامـــل معاملتها، وينظر إليها كما ينظر إلى الرقيق، ويرون أنّ عقلها لا يعتد به، وفي ذلك يقول فيلسوفهم (أرسطو): إن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يعتد به.

ومما يذكر عن فيلسوفهم (سقرط): أن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشـــبه شجرة مسمومة حيث يكـــون ظاهرها جميلاً، ولكن عندما تـــأكل العصافير تموت حالاً.

ولهذا كانت محتقرة مهانة، حتى سموها رجساً من عمل الشيطان، وكانت عندهم كســـقط المتاع، تباع وتشترى في الأسواق، مسلوبة الحقوق، محرومة من حق الميراث وحق التصرف في المال.

المرأة في أوروبا الحديثة

كان للـــزوج ـ في أوروبا الحديثة ـ الحقّ فـــي بيع زوجته، وقد حدّد ثمن الزوجة بســـتّ بنســـات، وكان معمولاً بهذا القانون في إنجلترا حتى عام ١٨٠٥م. وقد حرّم هنري الثامن على الإنجليزيات قراءة الكتاب المقدس، وظلت نســـاء إنجلترا حتى عام ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنـــين، وحتى عام ١٨٨٢م ليس لهنّ أي حقوق شخصية، أو حقّ في التملك الخاصّ.

أمـــا وضع المرأة اليـــوم في ديار الكفار، فحـــدث ولا حرج عن الرذائل، والمهانة، والخلاعة، والابتذال، والاســـتغلال، في أقصى صورها وأبشع مظاهرها.

يقول الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ: إن المرأة أصبحت تطرد من المنزل بعد ســـن الثامنة عشـــرة لكي تبدأ في الكدح لنيل لقمـــة العيش، وإذا أجبرتها الظروف في البقاء في المنزل فإنها تدفع إيجار غرفتها وثمن طعامها، بل تدفع رســـماً معيناً مقابل اتصالاتها الهاتفية.

وما يراه المشاهد ويسمعه من شيوع البغاء وتفشي الزنا وكثرة اللواط، دليل على ضياع المرأة في أوروبا، مع ما نرى من كد وتعب يصيبها، فهي تعمل في الأعمال الشاقة، والوظائف المرهقة لتوفر مسكنها وطعامها وشرابها.

وفي الجانب الأسري قلَّ أن تجد منهم أسرة مترابطة متوادة، فلقاءت الآباء والأبناء بالشهور أو السنوات، ولربما تنكر بعضهم لبعض، فأصبح الابن لا يرى والديه ولا إخوته إلا لماماً في مقابلات تحكمها المادة وتسيطر عليها.

المرأة العربية في الجاهلية

عاشــت المرأة في أطوار التاريخ بــين مد وجزر، وواقع المرأة في المجتمع الجاهلي قبل الإســلام لا يقل ســوء عن الأمم السابقة التي انحدرت إلى الحضيض في النظرة الدونية للمرأة.

فقد كان العرب في الجاهلية ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم، ويتصرفون فيها كيف شاءوا.

وكان العرب لا يُورِّثون المرأة، ويرون أن ليس لها حق في الإرث، وكانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل الســيف، ويحمي البيضة، ويقرى الضيف، والمرأة ليســت كذلك، بل كانت لا تملك شــيئاً. ولم يكن للمرأة على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدود، وليس لتعدد الزوجات عدد معين.

وكان العرب إذا مــات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيــه، فعن ابن عباس ـ رضــي الله عنهما ـ قال: «كان الرجل إذا مات أبوه أو حموه فهو أحق بامرأته، إن شاء أمســكها، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها» [رواه أبو داود].

وكان عند العرب أنواع من الزيجات الفاسدة منها: اشتراك مجموعة من الرجال بالدخول على امرأة واحدة ثم إعطاؤها حق الولد تلحقه بمن شاءت منهم، فتقول إذا ولدت: هو ولدك يا فلان فيلحق به ويكون ولده.

ومنها: نكاح الاستبضاع وهو أن يرسل الرجل زوجته لرجل آخر من كبار القوم لكي تأتي بولد منه يتصف بصفات ذلك الكبير في قومه.

ومنها: نكاح المتعة وهو المؤقت.

ومنها: نكاح الشغار وهو أن يُزوج الرجل ابنته أو أخته أو موليته لرجل آخر على أن يزوجه هو موليته بدون مهر وذلك لأنهم يتعاملون على أساس أن المرأة يمتلكونها كالسلعة.

روى البخاري في صحيحه: عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: «إنَّ النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل

ذلـك رغبة في نجابة الولـد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت؛ فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

ونكاح رابع يجتمع الناس فيدخلون على المرأة، لا تمنع من جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن رايات على أبوابهن تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن».

وكانت المرأة في الجاهلية لا نصيب لها فيما تنتج البهائم، ويشركونها إذا سقط جنين البهيمة ميتاً، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهم ما أنزل، وقسم لهم ما قسم».

ومن العرب من كان يرى البنت حملاً فادحاً يضعف دون احتماله وتتخاذل قواه لفرط ما يشفق من وصمة الذل ووصم العار إذا وهنت نفسها أو ذهب السباء بها، فكان بين أن يستبقيها على كره لها ومضض منها وترقب لموتها، أو يفزع إلى الحفر فيقذفها في جوفها ويهيل التراب على عضارة عودها ونضارة وجهها.

قال قتادة: كان مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء، وأشدهم في هذا تميم، زعموا خوف القهر عليهم وطمع غير الأكفاء فيهن.

وذكر عن قيس بن عاصم أنه وأد ثلاث عشرة من بناته، وقد ذمهم الله بذلك وأنكر عليهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

وكانوا في بعض الأحيان ينشغلوا عن دفن البنت وهي صغيرة لسفر أو شغل فيدفنها وقد كبرت وتعقل، وقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق.

وكانوا يتفننون في الوأد، فمنهم من إذا صارت بنته سداسية يقول لأمها: طيبيها، وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها. وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض، ومنهم من كان إذا قربت امرأته من الوضع حفر حفرة لتتمخض على رأس البئر، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفره وإن ولدت ابناً حبسته.

وكان الواحـــد منهم إذا رزق بالأنثى اســـود وجهه كرهاً لما رزقه الله وقـــد وصف الله حالهم، وعاب عليهم ذلك، فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩].

وكان كره العرب للمرأة معلوم، وقد ذكره ـ جل وعلا ـ في كتابه، فقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] أي: البنات.

وعلـــى الرغم مما يجري في المجتمع الجاهلي، إلا أنه كان لبعض النساء مكانة في الجاهلية، فقد برزت نساء واشتهرت أسماؤهن قبل البعثـــة، فلقد كانت خديجة بنت خويلد قبل زواجها برســـول الله ﷺ سيدة فاضلة تشهد لها قريش بالفضل ورجاحة العقل، وكانت ذا مال وغنى توظف الرجال في خدمة تجارتها. كما برزت أســـماء نســـاء شـــريفات لهنّ مكانة ومنعة في قريش مثل: هند بنت عتبة، واشـــتهرت كذلك شـــاعرات عربيات مثل: الخنساء، والشفاء بنت عمرو، وغيرهن.

الأنبياء والمرأة

ذكر الله ـ عز وجل ـ في القرآن خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

والأنبياء ـ عليهم السلام ـ بشر يأكلون ويشربون، ويتزوجون ويولد لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال في الرد على الكفار: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩].

والأنبياء كسائر البشر لهم أمهات وزوجات وذرية، قال ـ تعالى ـ عن آدم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [البقرة: ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ عن نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢].

وقال ـ تعالى ـ عن نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

وقال ـ تعالى ـ في حق المسيح ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وقال ـ سبحانه ـ عن موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٣].

وقال ـ تعالى ـ عن زكريا ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال ـ جل وعلا ـ عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٦﴾ [الأحزاب: ٦].

وهكذا نرى أن للأنبياء أمهات، وكذلك لهم إخوة وأخوات، وزوجات وأبناء وأحفاد، وسوف يكون البدء والحديث عن أبينا آدم ـ عليه السلام ـ ثم نتدرج مع الأنبياء حتى نصل إلى خاتمهم، نبينا محمد ﷺ.

آدم ـ عليه السلام ـ

❁ آدم ـ عليه السلام ـ: أبو البشر، وأول الأنبياء، وقد كرمه الله ـ تعالى ـ وخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [الإسراء: ٦١].

وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ عليه في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ [مريم: ٥٨].

وفي الحديث عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبياً كان آدم؟ قال: «نعم مكُلم» [السلسلة الصحيحة].

كان آدم الأب الأول للخلق يعيش وحيداً بين أشجار الجنة وظلالها، فأراد الله أن يؤنس وحشته، وألا يتركه وحيداً، فخلق له من نفسه امرأة، تقر بها عينه، ويفرح بها قلبه، وتسكن إليها نفسه، وتصبح له زوجة يأنس بها، فكانت حواء، وأسكنهما الله الجنة، وأباحها لهما يتمتعان بكل ما فيها من ثمار، إلا شجرة واحدة

أمرهما أن لا يأكلا منها: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥].

وعاشت حواء مع آدم بين أشجار الجنة في نعيم وسعادة، يأكلان مما فيها من فواكه كثيرة وخيرات متعددة، وظلا كذلك حتى أغواهما الشيطان وأكلا من الشجرة التي نهاهم الله أن يقرباها، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢١] وهكذا زين لهما الشيطان الأكل من الشجرة، وأقسم لهما أنه لهما ناصح أمين، وعندها وقع المحظور، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وهنا ندم آدم وحواء وتنزلت كلمات الله على آدم، ليتوب عليه وعلى زوجه ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٣٧].

وكانت تلك الكلمات هي: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] وبعد ذلك أهبطهما

ـ عز وجل ـ إلى الأرض، وأهبط معهما الشيطان وأعوانه: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦].

هكـــذا دبت الحياة على الأرض، وقدر الله لآدم وحواء أن يعمرا الأرض، وتنتشـــر ذريتهما، ثم انزلت لهم الرسالات السماوية التي تدعو إلى التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

وهكذا نرى المرأة في حياة نبي الله آدم، مشاركة له في حال النعيم والحبور، ثم الندم والتوبة، ثم الرضا بالأمر الواقع، وعمارة الأرض طاعة لله ـ عز وجل ـ الحكيم العليم.

وكانـــت الزوجة حواء موافقة لآدم؛ لأن الله ـ عز وجل ـ ذكرها بصفـــة الزوجـــة ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾ ولفظ الزوجة في القرآن لا تأتي إلا إذا كان هناك توافق وترابط،، وتجانس ومودة ووئام.

نوح ـ عليه السلام ـ

النبي الصابر نوح ـ عليه السلام ـ من جملة أنبياء الله الذين اصطفاهم لحمل رسالته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وأثنى الله ـ عز وجل ـ عليه، بقوله ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣].

وقد دعا نوح قومه إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

دعاهم مدة طويلة ـ ألف سنة إلا خمسين عاماً ـ كما ذكر ذلك سبحانه في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وكان يدعو قومه سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ٥ـ ١٠].

وقد ذكر الله نوحاً مثنيــاً عليه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

ومع بذله الوســع وطول المدة؛ قيل لم يُسلم من قومه إلا ثمانون إنساناً.

وضرب الله مثلاً بامرأة نوح ولوط ـ عليهم السلام ـ في القرآن، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

قــال ابــن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عـــن امرأة نوح ـ عليه السلام ـ: أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون.

ومع ذلــك بقي نوح يدعوها هي وابنها، ولا شــك أنهما أحق بالدعوة وأقرب، حتى كان الغرق.

وعلى هذا فالقرب من الصالحين نافع مفيد إذا أنزل الله إليه هدايته وتوفيقه. وإلا فإن مجرد القرب لا يجدي ولا ينفع.

إبراهيم ـ عليه السلام ـ

خليل الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ، أبو الأنبياء، ومن أولي العزم من الرسل، أثنى الله ـ عز وجل ـ عليه، بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝﴾ [هود: ٧٥].

دعا قومه ـ أهل العراق ـ إلى عبادة الله وحده، فلم يستجيبوا له، فكسر أصنامهم، فألقوه في النار، فأنجاه الله منها وجعلها برداً وسلاماً.

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٨ ـ ٦٩].

وقد أمره الله ـ عز وجل ـ ببناء الكعبة، هو وابنه إسماعيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وأمره أن يؤذن في الناس بالحج: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝﴾ [الحج: ٢٧].

كان لزوجته سارة أثر ملموس في الدعوة إلى الله والصبر عليها، وتحمل المشاق والمصاعب، ومن ذلك مرافقة زوجها، فقد خرجت مهاجرة في سبيل الله مع زوجها وابن أخيه لوط ـ عليهما السلام ـ

إلى فلسطين، ولما اشتد الجفاف في فلسطين هاجرت مع زوجها مرة أخرى إلى مصر، وسرعان ما انتشر خبرهما عند فرعون مصر الذي كان يأمر حراســه بأن يخبروه بأي امرأة جميلة تدخل مصر، وذات يوم أخبره الجنود أن امــرأة جميلة حضرت إلى مصر، فأمر جنوده أن يحضروها إليــه، ولما وصلت إلى قصره دعت الله ألا يخذلها، وأن يحيطها بعنايته، وأن يحفظها من شره، وأقبلت تتوضأ وتصلي وتدعوا: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرســولك، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليَّ هذا الكافر، فاستجاب الله دعاءها فشل يده عنها ـ حين أراد أن يمدها إليها بسوء ـ.

قــال لها: ادعي ربك أن يطلق يدي ولا أضرك. فدعت ســارة ربها؛ فاستجاب الله دعاءها، فعادت يده كما كانت، ولكنه بعد أن أطلق الله يده أراد أن يمدها إليها مرة ثانية؛ فشلت، فطلب منها أن تدعو له حتى تطلق يده ولا يمســها بسوء، ففعلت، فاستجاب الله دعاءها، لكنه نكث بالعهد فشلت مرة ثالثة. فقال لها: ادعي ربك أن يطلق يدي، وعهد لا نكث فيه ألا أمســك بســوء. فدعت الله فعادت ســليمة، فقال لمن أتى بها: اذهب بها فإنك لم تأت بإنسان وأمر لها بجارية، وهي (هاجر) وتركها تغادر أرضه بسلام.

ـ ورجع إبراهيم وزوجه وجاريتها هاجر إلى فلسطين مرة أخرى، ومرت الأيام والسنين ولم تنجب سارة بَعْدُ ابناً لإبراهيم، وقد كبر سنهما، فوهبت جاريتها هاجر إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ رجاء الذرية، ولإدخال السرور عليه واستمرار عقبه وذريته من بعده.

وهكذا تزوج إبراهيم ـ عليه السلام ـ هاجر، وبدأ شيء من الغيرة يتحرك في نفس سارة بعد أن ظهرت علامات الحمل على هاجر، فلما وضعت هاجر طفلها إسماعيل ـ عليه السلام ـ بدأت الغيرة تزداد في قلب سارة، وفي تلك الأثناء أخذ إبراهيم هاجر وابنها الرضيع إلى واد غير ذى زرع من أرض مكة عند بيت الله الحرام.

فسارت معه هاجر إلى هناك، في صحراء مكة القاحلة، حيث لا زرع ولا ماء، ولا أنيس ولا رفيق، وهناك تركها زوجها هي ووليدها، ومضى في طريق عودته، وترك لهم تمراً وماء، فنادته زوجته وهي تقول: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي، الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟!

فلم يلتفت إليها، وكان على يقين من وعد الله الذي لا يتخلف ولا يخيب، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ فأجاب إبراهيم ـ عليه السلام ـ: نعم.

فتقول الزوجة التي آمنت بربها، وعرفت معنى اليقين بصدق وعد الله، وفهمت كيف تكون معينة لزوجها على طاعة ربها، تقول في غير تردد ولا قلق: إذاً لا يضيعنا.

وانصرف إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو يدعو ربه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ونفد الماء والزاد، والأم لا تجد ما تروي به ظمأ طفلها، وقد جف لبنها فلا تجد ما ترضعه، فيتلوى الطفل جوعا وعطشاً، ويصرخ، ويتردد في الصحراء والجبال صراخه الذي يدمي قلب الأم الحنون وتسرع الأم وتصعد على جبل الصفا، لتنظر أحداً. ولكنها لا تجد شيئاً، فتنزل مسرعة وتصعد جبل المروة، وتفعل ذلك سبع مرات حتى تمكن منها التعب، فبعث الله جبريل ـ عليه السلام ـ وضرب الأرض بجناحه؛ لتخرج عين ماء بجانب الصغير، فتهرول الأم نحوها وقلبها ينطلق بحمد الله على نعمته، وجعلت تغرف من مائها، وتقول لعين الماء: زمي زمي، فسميت هذه العين زمزم.

قال ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً» [رواه البخاري].

إنها الزوجة المطيعة الواثقة بقدر الله ومعونته. فما خالفته في أمر، ولا عصته في معروف، وإلا فمن يطيق أن يبقى مع رضيع في أرض جرداء وشمس محرقة، لا أنيس ولا رفيق. بل كانت له مطيعة ولرسالته معينة، ورزقها الله من فضله إسماعيل نبياً من الصالحين.

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ في قوله عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٩].

دل على أن اعتزال الكفار والمشركين بعد دعوتهم أن ذلك مما يستجلب به عطاء الله وفضله. فقد وهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب وجعلهم أنبياء، وفي ذريتهم النبوة إلى محمد ﷺ.

وتأمل في دعاء إبراهيم وقد ترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل في أرض مكة، فدعا لهم بالأمن: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ثم دعا لهم بالتوحيد: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ثم دعا لهم بالرزق: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ثم دعا لهم أيضاً بالهداية والاستقامة فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].

❁ أما سارة زوجته الأولى فقد رزقها الله على الكبر، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات: ٢٩].

وهنا في الآية نلحظ من تربَّت في بيت النبوة وعاشت فيه، وتأثير إبراهيم على زوجته، فإنها من حسن أدبها عند خطاب الرجال اقتصرت من الكلام ما يتأدى به الحاجة، فإنها قالت: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ واقتصرت على ذكر السبب الدال على عدم الولادة، ولم تذكر غيره.

إسحاق ـ عليه السلام ـ

هو نبي الله إسحاق بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ، فبعد أن رزق الله ـ عز وجل ـ إبراهيم ـ عليه السلام ـ إسماعيل من زوجته هاجر، دعا إبراهيم الله أن يرزقه بولد من زوجته سارة التي تحملت أنواع المتاعب والمشاق في سبيل الله، تطييباً لخاطرها وفرحاً لها بالذرية، فاستجاب الله دعاءه، وأرسل إليه ملائكة على هيئة رجال يبشروه بولد من زوجته سارة، فاستقبلهم وأكرمهم وجاء بعجل سمين، ولكنه ظهر منه الخوف لما رأى أنهم لا يأكلون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٠].

وأخبرت الملائكة إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنهم ذاهبون إلى قوم لوط؛ لأنهم عصوا نبي الله لوطاً، ولم يتبعوه، ثم بشروه بأن زوجته سارة سوف تلد ولداً اسمه إسحاق، وأن هذا الولد سيكبر ويتزوج، ويولد له ولد يسميه يعقوب.

وقد كانت البشارة بمولده من الملائكة، وكان مولده معجزة وآية من آيات الله ـ عز وجل ـ، حيث إن إبراهيم قد كبر وطعن في السن وأيس هو وامرأته سارة من الولد، فجاءتهم الملائكة بالبشرى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١]، ولما سمعت سارة كلامهم، لم تستطع أن تصبر على هول المفاجأة، فعبرت عن فرحتها، ودهشتها كما تعبر النساء؛ فصرخت تعجباً مما سمعت: ﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٢ ـ ٧٣] وحملت سارة بإسحاق ـ عليه السلام ـ ووضعته، فبارك الله لها ولزوجها فيه؛ ومن إسحاق انحدر نسل بني إسرائيل.

ـ هذه هي سارة زوجة نبي الله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ التي كانت أول من آمن بأبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين بعثه الله لقومه يهديهم إلى الرشد، ثم آمن به لوط ابن أخيه ـ عليه السلام ـ، فكان هؤلاء الثلاثة هم الذين آمنوا على الأرض في ذلك الوقت.

ـ وبيوت الأنبياء بيوت حمد وشكر، واعتراف بنعمة المنعم وفضله، فهذا إبراهيم ـ عليه السلام ـ يحمد الله على نعمته بإنجاب الولد من سارة، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

هذه حياة الأنبياء وزوجاتهم وذرياتهم. دعوة وعلم، وحمد وشكر.

شكر في النعماء وصبر وذكر في الضراء.

لوط ـ عليه السلام ـ

لوط نبي من أنبياء الله، أثنى الله ـ عز وجل ـ عليه في قوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنعام: ٨٦].

مضى لوط مع عمه إبراهيم ـ عليهما السلام ـ إلى فلسطين ثم إلى مصر، ولما رجع إبراهيم ومعه زوجه سارة إلى مصر، مضى لوط إلى قوم سدوم في الأردن يدعوهم إلى عبادة الله، ويحذرهم الشرك والمعاصي والذنوب.

فقد بعثه الله ـ عز وجل ـ إلى قوم خالفوا الفطرة، وابتدعوا فاحشة إتيان الذكور، فنهاهم وحذرهم ولم يجد ذلك نفعاً، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٨٠].

ولكن قومه كذبوه وآذوه، ومن أولئك زوجته فأرسل الله الملائكة لإهلاك قوم لوط، فقلبت ديارهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝﴾ [هود: ٨١].

وقال ـ تعالى ـ في سورة العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وقد ضرب الله مثلاً بامرأة لوط، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

إسماعيل - عليه السلام -

إسماعيل - عليه السلام - هو ابن إبراهيم - عليهما السلام -، وجدُّ نبينا ورسولنا محمد ﷺ، ومن أوائل من سكن مكة وكان رسولاً نبيّاً، فجرت بئر زمزم من تحت قدميه، وبنى مع أبيه الكعبة المشرفة، وأسلم نفسه للذبح حتى فداه الله - عز وجل - بكبش عظيم، وقد ذكر الله - عز وجل - بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة وهم يدعون لأنفسهم وذرياتهم حرصاً عليهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

فتحقق ما دعوا الله، وكان جملة من الأنبياء من ذرياتهم، وآخرهم نبينا محمد ﷺ من ذريتهم.

وذكر - سبحانه - إسماعيل وحرصه على أهله، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤].

وذكر ـ عز وجل ـ في الآية حريصه على أولاده وأهله، وأنه كان يأمرهم ـ على سبيل المداومة ـ بالصلاة والزكاة، وهذا ما يجعل نبي الله في أشد حالات الحرص على أولاده وأهله لإقامة عبادة الله ـ عز وجل ـ.

وكان لإسماعيل زوجة لا تصبر ولا تشكر، فأمره أبوه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يطلقها فطلقها، ثم تزوج بأخرى صابرة شاكرة، فأمره أبوه ـ عليه السلام ـ أن لا يفارقها لما رأى من عقلها وصبرها.

في الحديث الذي رواه الإمام البخاري «.. وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أننا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي

بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد وسألها عن عيشهم وهيئتهم؟ قالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم قالت: الماء، قال: اللهم بارك في اللحم والماء. قال النبي ﷺ ولم يكن لهم يومئذ حبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه.

قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، أنَّا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال: ذاك أبي وأنتِ العتبة، فأمرني أن أمسكك».

يعقوب ـ عليه السلام ـ

نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، جاءت الملائكة بالبشرى به لإبراهيم، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١].

وقد ولد ليعقوب ـ عليه السلام ـ اثنا عشر ولداً، سماهم الله ـ عز وجل ـ في القرآن بالأسباط، وقد جرت لابنه يوسف القصة المشهورة التي ذكرها الله ـ عز وجل ـ في سورة يوسف.

وكان من عنايته بأبنائه وخوفه عليهم أن خاف على يوسف لما طلبه إخوته للذهاب معهم، فقال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يوسف: ١٣].

وكذلك من حرصه على أولاده ـ وكانوا أهل جَمَالٍ ـ أن خاف عليهم من العين، فأمرهم بقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٨].

ثم لما جرى من إخوة يوسف وطلبوا من أبيهم يعقوب الدعاء لهم، فما تردد: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٨].

ولما حضرته الوفاة كان الناصح المشفق لبنيه، الحريص على التوحيد وعبادة الله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى ذاكراً حرصه على أبنائه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهكذا نرى أن يعقوب ـ عليه السلام ـ معينٌ لوالدتهم بالدعاء والتوجيه والتربية.

يوسف ـ عليه السلام ـ

يوسف ـ عليه السلام ـ: هو ابن يعقوب ـ عليهما السلام ـ، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**» [رواه البخاري].

جرت عليه ابتلاءات منذ صغره، فقد ألقاه إخوته في الجب فأنجاه الله، وعصمه من الفواحش، ومن مكر امرأة العزيز، وآتاه الله العلم والحكمة وتأويل الرؤيا، ومكَّن له في الأرض بعد السجن، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ قصة يوسف كاملة مرة واحدة في سورة طويلة، هي (سورة يوسف).

وكان من إكرام نبي الله يوسف لامرأة العزيز أنه لم يتعرض لها بالفاحشة عندما طلبت منه ذلك وراودته وغلقت الأبواب، على جمال فيها وغربته، فصان عرضها وعرض زوجها، وحفظ نفسه من الوقوع في المعصية.

قال ـ تعالى ـ يحكي ما جرى ليوسف ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

وقد ذكر الله عفته وأثنى عليها: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

ولا شك أن من أعظم ما يقدم للإنسان زوجاً أو زوجة هو صيانة عرضه والمحافظة عليه.

ومن محافظته على امرأة العزيز أنه لم يصرح باسمها عندما طلبه الملك: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠] وقال: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ حيث سكت عن امرأة العزيز رعاية لذمم الملك العزيز.

* ثم تتحدث الآيات عن مجيء أسرة يعقوب بأهلهم إلى مصر، ودخولهم على يوسف وهو في عز السلطان وعظمة الملك، وتحقيق الرؤيا بسجود إخوته الأحد عشر له مع أبيه وأمه، واجتماع الشمل بعد الفرقة، وحلول الأنس بعد الكدر. حيث تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكناها.

وقد تجلى في آخر سورة يوسف إكرامه لوالديه فقد دعاهما للإتيان إليه، وترك حياة الضنك والجوع ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩]. أي: فلما دخل يعقوب وأبناؤه وأهلوهم على يوسف ضم إليه أبويه واعتنقهما واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإكرام شيئاً عظيماً.

وتطييباً لخاطر والديه وإيناساً لهما، ذكر زوال ما كان بينه وبين إخوته وأن ذلك من نزغ الشيطان، ولم يذكرهم بسوء حتى لا يحزن والده: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

وقال لجميع أهله مُرحباً: ادخلوا بلدة مصر آمنين من كل مكروه. وقد كانوا فيما مضى يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجواز منهم، وإنما قال: ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ تبركاً وتيمناً، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ أي: أجلسهما على سرير الملك ومجلس العزيز بجانبه. وسجد له أبوه وأمه وإخوته حين دخولهم عليه، وكان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة.

ومن الإحسان إلى الوالدين وأكرامهما أن تبدأ بهما عندما تصيب خيراً، فهم أحق الناس برد الجميل، مثلما فعل يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ولما ارتاحت الأنفس ودنا القرب، وطاب الفرح... استعاد يوسف رؤياه القديمة أيام الصبا وحدث والده.. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قال يوسف: لما رأى هذه الحال ورأى سجودهم له: هذا تفسير الرؤيا التي رأيتها في منامي وذلك حين رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر لي ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت. قيل بين رؤيا يوسف وتحققها أربعين سنة.

ثم ذكر نعمة الله عليه وفضله؛ شاكراً ومثنياً ومطعياً لوالديه: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ أي: أنعم عليَّ ربي بإخراجي من السجن، و هذا من لطفه وحسن خطابه فلم يذكر قصة الجب مع كونه أشد بلاء من السجن، تكرماً منه لئلاّ يخجل إخوته ويذكرهم صنيعهم لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ أي: جاء بكم من البادية لأنهم كانوا أهل إبل وغنم ببادية فلسطين، ذكرهم بنعمة الله على آل يعقوب حيث نقلهم من البادية إلى الحضر واجتمع شمل الأسرة بمصر، وذكر إتيانهم في البادية من إحسان الله إليه، فلم يقل: جاء بكم الجوع والنصب، ولا قال: «أحسن بكم» بل قال: ﴿أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ جعل الإحسان عائداً إليه، وقد ذكر أن يعقوب ـ عليه السلام ـ دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم وهم أقل من مائة، وخرجوا منها يوم خرجوا وهم زيادة على ستمائة ألف.

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ أي: أفسد ما بيني وبين إخوتي بالإغواء، ولم يقل هم فعلوا بي، بل ذكر الشيطان وأنه هو الذي نزغ بين إخوته.

أيوب ـ عليه السلام ـ

أيوب ـ عليه السلام ـ النبي الصابر المحتسب، الحامد الشاكر، الذي يضرب المثل بصبره، بعد ما جرت عليه مقادير الله ـ عز وجل ـ في ماله وأهله وبدنه.

كان أيوب ـ عليه السلام ـ مؤمناً قانتاً ساجداً عابداً لله، بسط الله له في رزقه، ومدَّ له في ماله، فكانت له ألوف من الغنم والإبل، ومئات من البقر والحمير، وأرض عريضة، وحقول خصيبة، وكان له عدد كبير من العبيد يقومون على خدمته، ورعاية أملاكه، ولم يبخل أيوب ـ عليه السلام ـ بماله، بل كان ينفقه، ويجود به على الفقراء والمساكين وأراد الله أن يختبر أيوب في إيمانه، فأنزل به البلاء، فكان أول ما نزل عليه ضياع ماله وجفاف أرضه؛ حيث احترق الزرع وماتت الأنعام، ولم يبق لأيوب شيء يلوذ به ويحتمي فيه غير إعانة الله له، فصبر واحتسب، ثم مات أولاده، فكان صابراً، ثم نزل الابتلاء الثالث بأيوب ـ فاعتلت صحته، وذهبت عافيته، وأنهكه المرض، لكنه على الرغم من ذلك ما ازداد إلا إيماناً، وكلما ازداد عليه المرض ازداد شكره لله؛ وتمر الأعوام على أيوب ـ عليه السلام

ـ وهو لا يزال مريضاً، فقد هزل جسمه، ووهن عظمه، وأصبح ضامر الجسم، شاحب اللون، لا يقر على فراشه من الألم.

وازداد ألمه حينما بعد عنه الصديق، وفر منه الحبيب، ولم يقف بجواره إلا زوجته العطوف، تلك المرأة الرحيمة الصالحة التي لم تفارقه، بل كانت نعم الزوجة الصابرة المعينة لزوجها، فأظهرت له من الحنان ما وسع قلبها، واعتنت به ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وظلت في خدمته أيام المرض سبع سنين، حتى طلبت منه أن يدعو الله بالشفاء، فقال لها: كم مكثت في الرخاء؟ فقالت ثمانين، فسألها: كم لبثت في البلاء؟ فأجابت: سبع سنين، قال: أستحي أن أطلب من الله رفع بلائي، وما قضيت منه مدة رخائي.

ثم أقسم أيوب ـ حينما شعر بوسوسة الشيطان لها ـ أن يضربها مائة سوط، إذا شفاه الله، ثم دعا أيوب ربه أن يكفيه بأس الشيطان، ويرفع ما فيه من نصب وعذاب، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص ٤١].

فلما رأى الله صبره البالغ، رد عليه عافيته؛ حيث أمره أن يضرب برجله، فتفجر له نبع ماء، فشرب منه واغتسل، فصح جسمه وصلح بدنه، وذهب عنه المرض، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا

مُغْتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةٗ مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٣].

ومن رحمة الله بهذه الزوجة الصابرة الرحيمة أن أمر الله أيوب أن يأخذ حزمة بها مائة عود من القش، ويضربها بها ضربة خفيفة رقيقة مرة واحدة؛ ليبرَّ قسمه، جزاء له ولزوجه على صبرهما على ابتلاء الله ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثٗا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

هذه هي المرأة في حياة نبي الله أيوب، شكرت في الرخاء، وصبرت في البلاء.

موسى ـ عليه السلام ـ

موسى ـ عليه السلام ـ: كليم الله ـ عز وجل ـ من أولي العزم من الرسل، وصاحب معجزة العصا، أرسله الله إلى بني إسرائيل، وألقته أمه في اليم، وهو طفل صغير هرباً من قتل فرعون، كلّمه الله بالواد المقدس، وبلغه رسالته وهي (التوراة) وأرسله إلى فرعون الذي استعبد بني إسرائيل حتى قال: أنا ربكم الأعلى، فأغرقه الله.

قال ـ تعالى ـ عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤] فكان يستعبد ويستذل فريقاً من رعيته وهم بنو إسرائيل ـ وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم ـ وبلغت به الحال إلى أن يقتل أبناءهم الذكور خوفاً من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك، ويترك الإناث على قيد الحياة لخدمته وخدمة الأقباط.

وكانت بداية استعباد فرعون لبني إسرائيل؛ نتيجة ما رأى في منامه من رؤيا أفزعته، فسأل عن ذلك، فقالوا: سوف يولد في بني

إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك، ويبدل دينك، ولقد أطل زمانه الذي يولد فيه، فقتل الأطفال، وأرسل جنوده في كل مكان لقتل كل غلام يولد لبني إسرائيل، وفيه دليل على حمق فرعون، فإنه إن صدق لم ينفعه القتل، وإن كذب فما معنى القتل.

ولما أكثر جنود فرعون من قتل ذكور بني إسرائيل، قيل لفرعون: إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم، ولا يمكن لنسائهم أن يقمن بما يقوم به الرجال من الأعمال الشاقة فتنتهي إلينا، حيث كان بنو إسرائيل يعملون في خدمة المصريين، فأمر فرعون بترك الولدان عاماً وقتلهم عاماً. وكان رجال فرعون يدورون على النساء فمن رأوها قد حملت، كتبوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها جاء نساء تابعات لفرعون فإن ولدت جارية تركنها، وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الذباحون فقتلوه ومضوا.

ودب الخوف إلى زوجة عمران ـ أم موسى ـ، فقد آن وضع جنينها وحان وقته، وسيكون مولده في العام الذي يقتل فرعون فيه الأطفال.

ولحكمة الله ـ تعالى ـ وعظمته لم تظهر على زوجة عمران علامات الحمل كغيرها ولم تفطن لها القابلات، وما إن وضعت

موسى ـ عليه السلام ـ حتى تملكها الخوف الشديد من بطش فرعون وجنوده، واستبد بها القلق على ابنها موسى، حتى جاءها وحي الله ـ عز وجل ـ آمراً أن تضعه داخل صندوق وتلقيه في النيل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [القصص: ٧].

وكانت دار أم موسى على شاطئ النيل، فصنعت لوليدها تابوتاً وأخذت ترضعه، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه، ذهبت فوضعته في التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل عندها. وذات يوم اقترب جنود فرعون، وخافت أم موسى عليه، فأسرعت ووضعته في التابوت، وأرسلته في البحر، لكنها نسيت في هذه المرة أن تربط التابوت، فذهب مع الماء الذي احتمله حتى مر به على قصر فرعون.

وأمام القصر توقف التابوت، فأسرعت الجواري وأحضرنه، وذهبن به إلى امرأة فرعون، فلما كشفت عن وجهه أوقع الله محبته في قلبها، فقد كانت عاقراً لا تلد ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝﴾ [طه: ٣٩].

وذاع الخبر في القصر، وانتشر نبأ الرضيع حتى وصل إلى فرعون، فأسرع فرعون نحوه هو وجنوده وهَّم أن يقتله، فناشدته امرأته أن يتركه: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [القصص: ٩].

كانت أم موسى في خوف على وليدها وهي تراه، عائماً في صندوق وسط النهر، ولكن الله صبرها، وثبتها، وقالت لابنتها: اتبعيه، وانظري أمره، ولا تجعلي أحداً يشعر بك، ووصف الله حالها تلك فقال: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [القصص: ١٠ ـ ١١].

فرحت امرأة فرعون بموسى فرحاً شديداً، ولكنه كان يبكي من الجوع لا يريد أن يرضع من أية مرضعة، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته أخته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك، ولم يشعروا بها، فقالت لهم: أعرف من يرضعه، وأخذته إلى أمه ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [القصص: ١٣].

وما إن وصل موسى ـ عليه السلام ـ إلى أمه حتى أقبل على ثديها، وذهب البشير إلى امرأة فرعون، فاستدعت أم موسى،

وأحسنت إليها، وأعطتها مالاً كثيراً ـ وهي لا تعرف أنها أمه ـ، ثم طلبت منها أن تقيم عندها لترضعه فرفضت، وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندكم، وهذا من وفاء أم موسى لزوجها، ومراعاة لحسن تربية ابنها موسى ليكون في بيتها، فأخذته أم موسى إلى بيتها، وتكفلت امرأة فرعون بنفقات موسى.

شب موسى وعاش في مصر، وبينما هو يسير في طريقه رأى رجلين يقتتلان؛ أحدهما من قومه بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون. وكان المصري يريد أن يسخر الإسرائيلي في أداء بعض الأعمال، واستغاث الإسرائيلي بموسى، فما كان منه إلا أن دفع المصري بيده فمات على الفور، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝﴾ [القصص: ١٥].

ـ وفي اليوم التالي تشاجر اليهودي مع رجل آخر فاستغاث بموسى ـ عليه السلام ـ مرة ثانية فقال له موسى: إنك لغوى مبين؛ فخاف الرجل وباح بالسر عندما قال: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس، فعلم فرعون وجنوده بخبر قتل موسى للرجل، فجاء

رجل من أقصى المدينة يحذر موسى، فأسرع بالخروج من مصر، وهو يستغفر ربه قائلا: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦].

وخرج موسى ـ عليه السلام ـ من مصر، وظل يتنقل حتى وصل إلى أرض مدين في جنوب فلسطين، وجلس بالقرب من بئر، ولكنه رأى منظراً غريباً؛ حيث وجد الرعاة يسقون ماشيتهم من تلك البئر، وعلى مقربة منهم تقف امرأتان تمنعان غنمهما عن ورود الماء؛ استحياء من مزاحمة الرجال، فأثر هذا المنظر في نفس موسى؛ إذ كان الأولى أن تسقي المرأتان أغنامهما أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما، فذهب موسى إليهم وسألهما عن أمرهما، فأخبرتاه بأنهما لا تستطيعان السقي إلا بعد أن ينتهي الرجال من سقي ماشيتهم، وأبوهما شيخ كبير لا يستطيع القيام بهذا الأمر، ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣].

فتقدم ليسقي لهما كما ينبغي أن يفعل الرجال ذو الشهامة والنخوة، فزاحم الرجال وسق لهما، ثم اتجه نحو شجرة فاستظل بظلها، وأخذ يناجي ربه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] وعادت الفتاتان إلى أبيهما، فتعجب من عودتهما سريعاً. وكان من عادتهما أن تمكثا وقتاً طويلاً حتى تسقيا الأغنام، فسألهما عن

السبب في ذلك، فأخبرتاه بقصة الرجل القوى الذي سقى لهما، وأدى لهما معروفاً دون أن يعرفهما، أو يطلب أجراً مقابل خدمته، وإنما فعل ذلك مروءة منه وفضلاً.

وهنا طلب الأب من إحدى ابنتيه أن تذهب لتدعوه، فجاءت إليه إحدى الفتاتين تمشي على استحياء، والقول كذلك على استحياء: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

أي: قالت المرأة: إن أبي يطلبك ليعوضك عن أجر السقاية لغنمنا.

قال ابن كثير: وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة، وقد ظهر لهما من عزة نفسه وحسن أخلاقه، ودعته ليجزيه والدها، لا ليمنَّ عليه؛ لأنه الذي ابتدأ بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك.

ـ واستجاب موسى للدعوة، وذكر المفسرون أنها تسير أمامه فقال لها: اتبعيني وإن كان الطريق يميناً اقذفي حجراً جهة اليمين وإن كان يساراً فارمي به يساراً. وذلك صيانة لها أن تقع عينه على شيء من جسمها وكان هذا من أعظم المحافظة على نفسها وعليها.

وهكذا سار موسى فلما وصل إلى الشيخ وقص عليه قصته طمأنه الشيخ بقوله: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [القصص: ٢٥].

ومع ما يصيب البنتين من التعب والمشقة ومزاحمة الرجال: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ أي: قالت إحدى ابنتيه: استأجره أجيراً عندك لرعي أغنامنا وسقايتها، إن أفضل من تستأجره من كان قوياً على العمل وأداء الأمانة، فإنها شاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله ـ تعالى ـ. وقولها كلام حكيم جامع؛ لأنه إذا إجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور فقد فرغ بالك وتم مرادك.

روي أن شعيباً قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ فقالت: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإني لما جئت معه تقدمت أمامه، فقال لي: كوني من ورائي ودليني على الطريق، ولما أتيته خفض بصره فلم ينظر إليّ، فرغب شعيب في مصاهرته وتزويجه بإحدى بناته.

وهكذا أشارت على أبيها بما تراه صالحاً لهم ولموسى ـ عليه السلام ـ فهي وأختها تعانيان من رعى الغنم، وتريد أن تكون امرأة مستورة، لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى، فالمرأة العفيفة الروح لا تستريح لمزاحمة الرجال، وموسى فتى لديه من القوة والأمانة ما يؤهله للقيام بهذه المهمة، فقال لموسى: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ

أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٧ ـ ٢٨].

ولما وفى موسى الأجل وأكمله على عادة كرام الخلق، وعمل في خدمة صهره عشر سنين، أراد أن يرحل إلى مصر، فوافق الشيخ ودعا له بالخير، فخرج ومعه زوجته وما أعطاه الشيخ من الأغنام، فسار موسى من مدين إلى مصر، وهكذا كانت زوجة موسى ـ رضي الله عنها ـ نموذجاً للمرأة، ذات الفراسة والحياء، وكانت قدوة في الاهتمام باختيار الزوج الأمين العفيف. ومن قبل كانت في خدمة أبيها والقيام بأمره خاصة لما كبر سنه ورق عظمه.

❁ وعندما خرج موسى ـ عليه السلام ـ لميعاد ربه، وأخرج السامري العجل لبني إسرائيل، كان ما ذكره تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ

تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ [طه: ٨٨ ـ ٩٥].

قال ابن كثير في قوله: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾: «تذكر له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم هنا أرق وأبلغ، أي في الحنو والعطف» وفي هذا اعتراف من الأنبياء بمكانة الأم ومنزلتها.

❁ ومن عناية موسى بأهله؛ أنه لما سار في ليل بهيم مظلم وبرد شديد، ورأى ناراً، ذهب بنفسه يخدمهم ويرعى حقوقهم، قال ـ تعالى ـ يذكر حاله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: ٢٩].

وفي حياة موسى ـ عليه السلام ـ نرى الأم ومكانتها، وامرأة فرعون وعطفها عليه حتى استبقاه فرعون ولم يقتله، والمرأتان اللتان قام بخدمتهما والسقي عنهما، ثم بزواجه من إحداهن ورعايته لها، ثم بذكر هارون لأمه ترقيقاً لقلب أخيه بهذا الرحم.

❁ وهكذا دور المرأة عظيم في حياة نبي الله موسى، أمه، ثم أخته، ثم زوجة فرعون، ثم زوجته.

فقد تربى في كنف امرأة، ومن حفظه من القتل بعد الله امرأة، والذي دل على من يرضعه امرأة والتي أشارت على أبيها باستئجاره امرأة.

سليمان - عليه السلام -

سليمان بن داود - عليهما السلام - نبي من أنبياء الله، خصه الله - عز وجل - بملك عظيم، لم يؤت أحداً من قبله، ولن يعطى لأحد من بعده إلى يوم القيامة، استجابة لدعوته ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥].

فاستجاب الله دعائه ووهبه ما طلب، فسخر له - تعالى - الجن والريح وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: ١٢].

وآتاه الله الرسالة والحكمة وعلمه منطق الطير، وسخر له الريح والجن تعمل بين يديه باذنه تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٧].

وذات مرة تفقد الهدهد، فلم يجده، فقال: ﴿مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل: ٢٠]. فجاء الهدهد بعد أن مكث فترة من الزمن، فقال لسليمان - عليه السلام -: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً

تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝﴾ [النمل: ٢٢ ـ ٢٤]. ثم أخذ الهدهد يصف ما رأى وما سمع، وكيف أنه وجد قوماً يعبدون الشمس من دون الله، عرف الهدهد بفطرته السليمة أن السجود لا يكون إلا لله ـ سبحانه ـ، كما عرف أهمية الدعوة إلى الله، وكيف يتحرك لها حتى وإن لم يكلفه أحد بهذا العمل، وبعد ذلك كتب نبي الله ـ عليه السلام ـ رسالة، وأمر الهدهد بالذهاب إلى ملكة سبأ، فقال له: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝﴾ [النمل: ٢٨] وبينما كانت بلقيس في ملكها، ألقى عليها الهدهد الكتاب، فقرأته وعلمت ما فيه، وأنه من نبي الله سليمان ـ عليه والسلام ـ، فجمعت وزراءها وأعيان قومها وقرأت عليهم خطاب سليمان: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣١]، ثم طلبت منهم الرأي والمشورة: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝﴾ [النمل: ٣٢].

فأجابها القوم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [النمل: ٣٣] لكن بلقيس كانت تعلم قوة سليمان، فأرادت أن تصرف قومها عن الحرب، وأن تردهم إلى الرشاد: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤].

كانت بلقيس امرأة عاقلة حكيمة، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥] وأخبرتهم أنه إن كان ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبيّاً فلن يقبل الهدية، ولن يرضى منا إلا أن تتبعه على دينه، وافق القوم على ذلك وانصرفوا، فلما جاءت رسل بلقيس بالهدية إلى سليمان، قال لهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل: ٣٦] فقال لرئيس الوفد: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: ٣٧] وأدرك سليمان بحكمته أن إنذاره هذا سيُنهي الأمر، وستقبل عليه الملكة مستسلمة طائعة.

وهكذا خرجت بلقيس من ملكها إلى سليمان، وقبيل حضورها، أراد سليمان أن يبين لها قدرة الله وعظمته: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ

بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٣٩]

ولكن سليمان استبطأه، فقام رجل عنده علم من الكتاب، فقال: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

ورأت بلقيس ملك سليمان، وبينما قومها يتهامسون فيما بينهم على ما يرونه، رأت عرشها بعد أن أمر سليمان جنوده أن يغيروا معالمه، وأن يبدلوا أوضاعه بحيث تختلف فيه الرؤية؛ ليعرف مدى ذكائها: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل: ٤٠ ـ ٤٢].

فلما دخلت بلقيس الصرح الذي أمر نبي الله سليمان جنوده بنائه من الزجاج بحيث يجرى من تحته الماء حسبته ماء، فكشفت عن ساقيها: ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [النمل: ٤٤].

فلما رأت بلقيس ما وهبه الله لنبيه سليمان: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: ٤٤].

تلك هي بلقيس بنت شـــراحيل بن مالك بن الريان، ملكة سبأ، كان ســـليمان ـ عليه الســـلام ـ حكيماً في الدعوة، رفيقاً بها حتى أسلمت وآمنت، وتركت عبادة الشمس من دون الله.

زكريا ـ عليه السلام ـ

زكريا ـ عليه السلام ـ نبي أرسله الله ـ تعالى ـ إلى بني إسرائيل فقام يدعوهم ويخوفهم، لكنهم طغوا وبغوا وناله منهم أذى ومشقة.

وكان زكريا ـ عليه السلام ـ هو الذي كفل مريم ابنة عمران لأنه زوج خالتها، وعندما كبر ورق عظمه دعا الله ـ عز وجل ـ أن يرزقه بولد يعينه في الدعوة وتبليغ الناس.

ولعلم الأنبياء بأهمية الأسرة الصالحة، والأبناء البررة لجئوا إلى الله ـ عز وجل ـ بالدعاء مع بذل الأسباب: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقد دعا زكريا ربه بقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ٥ ـ ٦].

وقال ـ تعالى ـ عن زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقـد ذكر الله زكريا وطلبه للولـد: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩] فاستجاب الله دعاؤه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن عنايـة الأنبيـاء بالزوجـة الدعـاء لها، وقـد اسـتجاب الباري الحكيم دعـاء زكريا لزوجته فقال: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي وسـط هذه الأسر من زوجه وأولاد كانت حياة الأنبياء حياة عامر بالطاعة، وحافلة بالعبادة، ولهذا كان لزوجات الأنبياء دور رائد وصبر ملموس، وجهاد محسوس في مسيرة الدعوة والرسالة.

يحيى ـ عليه السلام ـ

نبي الله يحيى، ابن نبي الله زكريا ـ عليهما السلام ـ الذي بشره الله ـ عز وجل ـ بهذا المولود، قال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ [مريم: ٧].

وقد ورد اسم يحيى في القرآن ست مرات، وكان الحديث الأشمل عنه في سورة مريم، وقد ذكر الله يحيى وخصه بأمور، قال تعالى: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝ ﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٥].

لما ذكر ـ عز وجل ـ جملة من صفاته وأثنى عليها. قال بعد تلك الأوصاف ذاكراً الجزاء على ذلك، فقال: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝ ﴾.

قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون المرء في ثلاث مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم.

والكتاب الذي أمر الله ـ عز وجل ـ يحيى أن يأخذه بقوة هو التوراة.

وقد ذكر ـ سبحانه ـ صفة الرحمة التي أسبغها على عبده ونبيه يحيى ـ عليه السلام ـ حيث جعل في قلبه رحمة يعطف بها على غيره، وكان كثير البر بوالديه، والإحسان إليهما.

قال ـ تعالى ـ مثنياً عليه: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ١٣].

وهذه نعمة عظيمة امتن بها الله ـ تعالى ـ على يحيى ـ عليه السلام ـ أن جعله برّاً بوالديه، وجعل بر الوالدين شعاراً لعباده المؤمنين.

ولا شك أن هذا يظهر عظيم شأن بر الوالدة، ووجوب العناية به، وخطر التفريط فيه. وأن شأن الأنبياء الإحسان إلى الأمهات وبرهن والقيام بحقهن.

عيسى ـ عليه السلام ـ

عيسى ابن مريم ـ عليهم السلام ـ، هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وهو من أولي العزم من الرسل، آتاه الله الإنجيل، وأناله معجزات عظيمة؛ منها أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ولما أرادوا قتله رفعه الله إليه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

قال ـ تعالى ـ على لسان عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٣١ ـ ٣٢].

فهذا عيسى ـ عليه السلام ـ يذكر نعمة من أعظم نعم الله عليه: أن جعله مباركاً مدة دوامه حيّاً، وجعله برّاً بوالدته، محسناً إليها، قائماً بما يجب عليه لها، فذكر توفيق الله ـ تعالى ـ له بإفراده بالعبادة، وثنى بتوفيق الله له بأن جعله برّاً بوالدته: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا

أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝﴾.

وقد خصه الله ـ تعالى ـ بتلك النعمة من بين قومه؛ لأن بر الوالدين كان ضعيفاً في بني إسرائيل يومئذ، وخاصة الوالدة لأنها تستضعف، ولأن فرط حنانها وشفقتها قد يجرئان الولد على التساهل في البر بها.

❁ ولما جاء مريم المخاض أنطق الله وليدها، من تحتها أن لا تحزن، وأن تأكل من رطب جني، لتقر عينها وتهنأ نفسها: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝﴾ [مريم: ٢٤ ـ ٢٦].

❁ ومن عنايته بأمه تبرئة نفسه وأمه عما يخدش التوحيد، كما قال ـ تعالى ـ عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝﴾ [المائدة: ١١٦].

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ عن عيسى ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ [مريم: ٣٢] لإثبات النسب، وفي قوله: ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥] ليثبت زكائها.

هؤلاء هم القدوة والأسوة في التوحيد، وإخلاص العبادة لله، والبر بأمهاتهم والإحسان إليهم.

محمد ﷺ

* محمد ﷺ: هو خاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله الله ـ عز وجل ـ بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وآتاه القرآن المعجزة الخالدة إلى يوم الدين، وأعطاه حوض الكوثر في الجنة، وأناله الشفاعة العظمى يوم القيامة.

ونبينا محمد ﷺ أول من آمن به امرأة، وأول من لجأ إليه بعد الوحي امرأة، وصلى صلاة فتح مكة في بيت امرأة، وآخر من كان معه في هذا الدنيا امرأة.

وقد انتشل رسول الهدى ﷺ المرأة من براثن الجاهلية، وضلالها، وظلمها، وبوَّأها مكانها اللائق بها، وأعطاها حقوقها التي نالت بها سعادتها، وَعَرَّفَهَا واجباتها، التي تؤدي بها ما عليها، حتى تكون امرأة صالحة في مجتمعها، كريمة حياتها، عزيز جانبها.

ودور المرأة في حياة النبي ﷺ مهم وعظيم، يتناول مسيرته في هذه الحياة قبل البعثة وبعدها، وتشمل الأم والزوجة والبنت والحفيدة، ثم هو ﷺ حسن التعامل طيب المعشر مع الأرملة والمسكينة، والمرأة العجوز الطاعنة في السن، بل وأوصى بوصايا لعامة النساء خص

المسلمة بأمور كثيرة ومتواصلة، وذكر ما لباقي نساء العالمين من حقوق وواجبات.

فكانت صفحة المرأة في حياة النبي ﷺ صفحة بيضاء مُشرقة، مشرقة الجبين، تحمل في طيَّاتها الحب والحنان، والنصح والتوجيه في أجمل وأرفع صور التعامل والمعاملة الطيبة.

وستعرَّض لنفحات من حال النبي ﷺ، وإكرامه للمرأة في أبواب تالية.

الأم

عاش نبينا محمد ﷺ في كنف أمه (آمنة بنت وهب) التى قامت بأمره وتربيته بعد أن فقد والده، وتربى في حجرها سنوات قليلة، وماتت بمكان يقال له (الأبواء) وهي ذاهبة إلى المدينة، وكان عمر النبي ﷺ ستان، فكفله جده ثم عمه. ولم تدرك والدة النبي ﷺ البعثة والرسالة.

ـ وعندما مرَّ النبي ﷺ بمكان قبرها في (الأبواء) وهو مسافر جرى ما ذكره الصحابي الجليل أبو هريرة: أن النبي ﷺ زار قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنت ربي في أن استغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**» [رواه مسلم].

ـ ولوفاء النبي ﷺ لأمه من الرضاعة وهي مولاته أم أيمن ـ واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو ـ أن أعتقها ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعدما كبر.

ـ ولم يكن النبي ﷺ يغفل عن من أرضعته وهي حليمة السعدية، فعندما حان زواجه من خديجة كان من بين الحضور للزواج المبارك

مرضعته حليمة السعدية، ففازت بالحضور، ورجعت قافلة لديارها بأربعين رأساً من الغنم هدية لمن أرضعت.

ـ وحين جاءته مرضعته ﷺ حليمة السعدية بنت أبي ذئب يوم حنين، التفت إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه، وكان صنيعه إكراماً لها ووفاء بحقها.

ـ قال عامر أبو الطفيل: «رأيت النبي ﷺ يَقْسِم لحماً بالجعرانة، وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبي ﷺ فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: هذه أمه التي أرضعته» [رواه أبو داود].

ـ ولم تكن تلك هي يتيمة رسول الله ﷺ في العطاء والبذل لمرضعته، بل بعد غزوة حنين وبعد قسمة الغنائم قدم وفد هوازن يعلنون إسلامهم، وأتوا رسول الله ﷺ قبل أن يقسم أموالهم، فقالوا: يا رسول الله إنَّا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك، فامنن علينا منَّ الله عليك.

ـ وقام رجل من هوازن يقال له: زهير، ويكنى أبا صرد، فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا (أي أرضعنا) للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزلا منا بمثل الذي نزلت به لرجونا عطفهما

وعاندتهما علينا، وأنت خير المكفولين. فرد رسول الله ﷺ سبيهم، إكراماً لحليمة السعدية.

ـ وامتدت صلة النبي ﷺ لأخوة أمهاته، فقد روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الأسود بن دهب خال النبي ﷺ استأذن عليه، فقال: «يا خال ادخل»، فدخل فبسط له رداءه.

هذه حال نبي الرحمة ﷺ مع والدته، ومرضعاته ﷺ.

بل تعدى ذلك إلى أخواله ـ من جهة أبيه ـ بني النجار في المدينة ـ وهم إخوان أمه آمنة بنت وهب ـ، وجد النبي ﷺ لأمه هو سيد (بني زهرة) حسباً ونسباً وشرفاً، وهو الأخ الأكبر لقصي بن كلاب (جد بني هاشم).

وقد أكرم النبي ﷺ أخواله، فعندما قدم عليه خاله عمير بن وهب، ففرش له ﷺ رداءه، فأجلسه، فقال له عمير: «أأجلس وأنت رسول الله، قال: «اجلس فإنما الخال وارث».

وللنبي ﷺ أخوال منهم: الأسود بن عبد يغوث، وعمير بن وهب.

وأخواله من جهة آمنة (سليم) فقد روي أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك» وفي رواية: «أنا ابن العواتك من سليم» [حسنه الألباني].

وسعد ـ رضي الله عنه ـ من بني زهرة، فإن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

وعندما قدم ﷺ المدينة بعد الهجرة نزل في بيت أحد أخواله من بني النجار وهو أبو أيوب الأنصاري. وأقام سبعة أشهر حتى بنيت حجراته ﷺ ثم انتقل إليها.

وقد أوصى ﷺ بالخالة وهي أخت الأم فقال في الحديث: «الخالة بمنزلة الأم» [رواه ابن حبان].

وما ذاك إلا لعظم منزلتها ومكانتها.

بل جعلها في منزلة الأم في البر، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً، فهل من توبة؟ فقال ﷺ: «نعم». «هل لك من أم؟» قال: لا، قال: «فهل لك من خالة؟» قال: نعم، قال: «فبرها» [رواه الترمذي].

مكانة الأم في الإسلام

مما يبرز مكانة الأم، ويظهر الدرجة الرفيعة التي رفعها الإسلام إليها، أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل وصيته للأمم السابقة ولهذه الأمة الإحسان إلى الأم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] الآية.

قال قتادة: ميثاق أخذه الله ـ تعالى ـ على بني إسرائيل، فاسمعوا ـ أي: يا أمة محمد ﷺ ـ ما أخذ الله من ميثاق على القوم: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

ـ وقرن ـ عز وجل ـ طاعته بطاعة الوالدين والإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦] الآية.

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أحسنوا إلى الوالدين إحساناً.

ـ وقـد جعل الله برَّ الوالدة فرضاً لازماً، وإن كانت الأم كافرة، بـل وإن جاهدت الولد على أن يكفر بالله ـ تعالى ـ، فإنَّ الواجب عليه الإحسان إليها مع عدم طاعتها فيما تريده عليه من الكفر بالله، لأنَّ طاعة الله وطاعة رسـوله ﷺ مقدمة على كل طاعة. قال الله تعالـى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ [لقمان: ١٥].

ـ قالـت أسـماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضـي الله عنهما ـ: قدمـت علـيّ أمي ـ وهي مشـركة ـ في عهد رسـول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت عليّ أمي، وهي راغبة (أي طامعة فيما عندي، تسألني الإحسانَ إليها) أفَأَصِلُ أمي؟ قال ﷺ: «نعم، صلي أمَّك».

ـ وقـال سـعد بـن أبي وقاص ـ رضي الله عنـه ـ: فيَّ نزلت آيات من القرآن، حلفت أمي أن لا تكلمني أبداً حتى أكفر بديني، ولا تأكل ولا تشـرب، قالت: زعمـت أن الله وصاك بوالديك، وأنـا أمك، وأنا آمرك بهذا. قـال: مكثت ثلاثاً حتى غشـي عليها مـن الجهـد، فقـام ابن لها ـ يقال له عمارة ـ فسـقاها، فجعلت تدعو على سـعد، فأنزل الله ـ عز وجل ـ فـي القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾ [العنكبوت: ٨]، ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ

أن تُشرِكَ بي﴾ وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

❁ والأحاديث الواردة في بر الوالدين كثيرة جداً منها:

وتقدم الشريعة حق الأم على حق الأب، وترد الآيات بالوالدة والأم:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤].

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].

ولم تأت مفردة ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ بل يجمع بينهما في التربية عند الصغر ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٢٤] وكذلك ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [إبراهيم: ٤١].

ـ أن النبي ﷺ رغب وحث على البر والإحسان والتأكيد على ذلك: فقال ﷺ: «**الوالد أوسط أبواب الجنَّة**» [رواه الترمذي].

ـ وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل أعمله يقربني إلى الله، قال: «**هل بقي من والديك أحد؟**» قال: أمي. قال: «**فاتق الله في برها، فإذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد**» [رواه الطبراني].

ـ وفـي الحديث عن عمرو بن مـرَّة الجهني ـ رضي الله عنه ـ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسـول الله، شـهدت أن لا إلـه إلا الله، وأنَّك رسـول الله، وصلَّيت الخمس، وأدَّيت زكاة مالي، وصمت رمضان، فقال النبي ﷺ: «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصبعيه، وقال: «ما لم يعقَّ والديه» [صحيح الترغيب].

ـ وعن أم المؤمنين عائشـة ـ رضـي الله عنها ـ: عن النبي ﷺ قال: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، قلت من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان. كذاكم البر، كذاكم البر» [صحيح الجامع].

ـ وقدجعـل الله بـرَّ الوالدة سـبباً في زيادة العمر والبسـط في الرزق:

قال ﷺ: «من سـره أن يُمَدَّ في عمـره، ويُزَادَ في رزقـه، فليبر والديه وليصل رحمه» [صحيح الترغيب].

ـ وجعل ـ تعالى ـ التكسـب للإنفاق على الوالدة عديل الجهاد في سبيله: فعن كعب بن عجرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: مرَّ على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب النبي ﷺ جَلَدَه ونشاطه، فقالوا: يا رسـول الله، لو كان هذا في سـبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «... إن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله».

ـ ومن أعظم أجر البر المُعجل أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل برَّ الوالدة سبباً في تفريج الكروب وإجابة الدعوات:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «خرج ثلاثة نفر يمشون، فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه! فقال: أحدهم اللهم، إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنْت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب، فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر؛ اللهم، إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء! ففرج عنهم. وقال الآخر: اللهم، إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي، كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال ففرج عنهم الثلثين. وقال الآخر: اللهم، إن كنت تعلم أني استأجرت أجيراً بفرق من ذرة، فأعطيته، وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقراً وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله، أعطني حقي؛ فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ فقلت: ما أستهزئ بك، ولكنها لك. اللهم، إن

كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا! فكشف عنهم».

ـ وهـذا أويس القرني ـ رحمه الله تعالى ـ كان مجاب الدعوة، لكونه كان برّاً بأمّه، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يسأل عنه أهل اليمن، كلما جاءه مدد منهم، حتى وجده، فقال له: أنت أُويس القَرَني؟ فقال: نعم. قال: فكان بك برص فَبَرَأْتَ إلاّ موضعَ درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثمَّ من قَرَن، كان به برصٌ فبرأ منه، إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ؛ لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل».

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: «فاستغفر لي، فاستغفر له» [رواه مسلم].

ـ وفي صحيح البخاري: قال رسول الله ﷺ: «نادت امرأة ابنها وهو في صومعة، قالت: يا جريج! قال: اللهم، أمي وصلاتي! قالت: يا جريج! قال: اللهم، أمي وصلاتي! قالت: يا جريج! قال: اللهم، أمي وصلاتي! قالت: اللهم، لا يموت جريج حتى ينظر في وجوه المياميس! وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم فولدت، فقيل لها: ممن هذا الولد؟ قالت: من جريج، نزل من صومعته. قال جريج: أين هذه التي تزعم أن ولدها لي؟ قال: يا بابوس، من أبوك؟ قال: راعي الغنم».

ـ وقد جعل الله برَّها سبباً في تكفير الذنوب:

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل فقال: إنِّي أذنبت ذنباً عظيماً، فهل من توبة؟ فقال ﷺ «نعم». «هل لك من أم؟» قال: لا. قال: «فهل لك من خالة ؟» قال: نعم. قال: «فبرها» [رواه الترمذي].

ـ ومن ذلك أنَّ الله ـ تعالى ـ جعل دعاءهما مستجاب على الولد:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهنَّ: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم» [رواه أبو داود].

ـ ومما يبرز مكانة الأم، ويظهر الدرجة الرفيعة التي رفعها الإسلام إليها:

أنَّ حقها لا يمكن للولد أن يفي به إلا أن يجدها مملوكة فيعتقها:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه» [رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم؛ إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب» [صحيح الجامع].

ـ وقد أوجب ـ تعالى ـ على الابن العمل لكسب رضاها: فمن أرضاها ـ بعد قيامه بحق الله سبحانه وتعالى ـ رضي الله عنه، ومن أسخطها سخط الله عليه. وإرضاؤها يكون بطاعتها، والبعد عمَّا يغضبها، وتحسس مواطن ارتياحها وإتيانها، ومواطن سخطها والابتعاد عنها، قال رسول الله ﷺ: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين» [صحيح الترغيب].

ـ وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك» [رواه مسلم].

وفي رواية: «ثمَّ الأقرب فالأقرب».

ـ ومن ذلك أن برها مقدم على الفروض الكفائية: قال معاوية السلمي ـ رضي الله عنه ـ: جئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، خرجت أريد الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، فقال: «ويحك ـ يا معاوية ـ ألك والدة؟» قلت: نعم. قال: «ارجع فبرها» قال: فأتيته من الجانب الآخر؛ فقلت: يا رسول الله، خرجت أريد الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، فقال: «ويحك ـ يا معاوية ـ ألك والدة ؟» قلت: نعم. قال: «ارجع فبرها» قال: فأتيته من أمامه؛ فقلت: يا رسول الله، خرجت أريد

الجهـاد معك، أبتغي بذلـك وجه الله والدار الآخـرة، فقال: «يا معاوية، الزم رجلها، فثم الجنة» [رواه ابن ماجة].

ـ وعن عبد الله بن عمر بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه، قال: جئت لأبايعك على الهجرة، وتركت أبَوَيَّ يبكيان! قال: «فارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما» [رواه ان ماجه].

ـ وعن أبي سـعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً هاجر إلى رسـول الله ﷺ من اليمن، فقال: «هل لك أحد باليمن؟» قال: أبـواي. قال: «أذنا لك؟» قال: لا. قال: «ارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما» [رواه أبو داود].

ـ وقد حذر الرسـول ﷺ من عقوق الوالدين والإساءة إليهما، فعن مالك ابن عمرو الشـقيري ـ رضي الله عنه ـ، قال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «من أدرك أحد والديه، ثمَّ لم يُغفر له، فأبعده الله وأسحقه» [صحيح الترغيب].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حرَّم الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم الجنَّة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث، الذي يقرُّ الخَبَثَ في أهله» [رواه أحمد].

ـ وقال رسـول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنَّة، ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العـاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشـبهة بالرجال، والديوث» [صحيح الجامع].

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد» [السلسلة الصحيحة].

ـ وعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً، قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» [رواه البخاري].

* وذكر ﷺ لهما حقوقاً حتى بعد موتهما:

ـ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما». قال الرجل: ما أكثر هذا ـ يا رسول الله ـ وأطيبه! قال: «فاعمل به» [رواه أبو داود].

ـ وقال الله ـ تعالى ـ مبيناً حقَّ الوالدين في الدعاء لهما، في حياتهما، وبعد وفاتهما: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وهذه الأم التي جعل الله لها هذه الحقوق هي أنموذج للمرأة في الإسلام التي كرمها وقدرها وحفظ لها حقها غير منقوص.

بل ولرقة المرأة عموماً وعاطفتها الجياشة فإن الحزن قد يصيبها، وتأتي الآيات القرآنية لترفعه عنها.

قال ـ تعالى ـ عن عيسى ابن مريم عليهما السلام: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي﴾ [مريم: ٢٤].

وقال عن أم موسى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: ١٣].

وقال عنها: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧].

وقال ـ تعالى ـ عن زوجات النبي ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١].

ـ وفي الحديث الآخر أنه ﷺ قال: «من عال ابنتين أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات حتى يمتن، أو يموت عنهن، كنت أنا وهو كهاتين ـ وإشار بأصبعيه السبابة والوسطى ـ» [رواه أحمد].

ـ وعن أم مسلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابة، يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما الله من فضله ـ عز وجل ـ أو يكفيهما كانتا له ستراً من النار» [رواه أحمد].

ـ وإن جرت على الأخت المقادير وفارقت زوجها، فإن من حقها على أخيها حفظ ودها وكرامتها، ولا يجبرها على الرجوع إلى بيت زوجها إلا عن رغبة ورضا في حالٍ معززة مكرمة، مع إبداء النصح والتوجيه والرفق بها وعدم الغلظة عليها.

روى البخاري عن معقل بن يسار قال: «زوجت أختاً لي من رجل، فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها؟ لا والله، لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. فقلت: الآن أفعل يا رسول الله فزوجها إياه».

ـ وفي الحديث الآخر أنه ﷺ قال: «من عال ابنتين أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات حتى يمتن، أو يموت عنهن، كنت أنا وهو كهاتين ـ وإشار بأصبعيه السبابة والوسطى ـ» [رواه أحمد].

ـ وعن أم مسلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابة، يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما الله من فضله ـ عز وجل ـ أو يكفيهما كانتا له ستراً من النار» [رواه أحمد].

ـ وإن جرت على الأخت المقادير وفارقت زوجها، فإن من حقها على أخيها حفظ ودها وكرامتها، ولا يجبرها على الرجوع إلى بيت زوجها إلا عن رغبة ورضا في حالٍ معززة مكرمة، مع إبداء النصح والتوجيه والرفق بها وعدم الغلظة عليها.

روى البخاري عن معقل بن يسار قال: «زوجت أختاً لي من رجل، فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها؟ لا والله، لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. فقلت: الآن أفعل يا رسول الله فزوجها إياه».

ـ وإن توفي زوج الأخت، وبقيت أرملة فإن لها حقوقاً أخرى، رتب الشارع الحكيم أجوراً عظيمة لمن قام بذلك، وجعله في مثل المجاهد في سبيل الله، أو مثل الصائم نهاره، والقائم الليل يصلي لله ويتعبد.

قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل والصائم النهار» [رواه البخاري].

ـ وإن كان لها أيتام فقد جمع الله له؛ القيام على الأرملة، وصلة الرحم ورعاية الأيتام، قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا». وقال بإصبعيه السبابة والوسطى. [رواه البخاري].

ـ ومن عناية الإسلام بالأخت أن أعلم إخوانهن التضحية من أجلهن حتى وإن كان ذلك خلاف رغباتهم، هذا جابر بن عبد الله يموت أبوه شهيداً يوم أحد، ويترك له تسع بنات أخوات، لا عائل لهن إلا جابر، فماذا كان من جابر الصحابي الجليل وما صنع؟

يتحدث عن نفسه فيقول: غزوت مع رسول الله ﷺ فقال لي: «ما تزوجت يا جابر؟ أبكر أم ثيباً»، فقلت: تزوجت ثيباً، قال: «أفلا تزوجت بكراً تلاعبك وتلاعبها؟» فقلت له: يا رسول الله توفي والدي ـ أو استشهد ـ ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج إليهن مثلهن، فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيباً لتقوم عليهم وتؤدبهن» [رواه مسلم].

ـ وللأخت حق صلة الرحم فهي تأتي بمنزلة بعد الوالدين، وهي مقدمــة رحماً على الإخوة الذكــور، وإن كان لهم الحق جميعاً في أعلى درجات الصلة.

ـ وصلــة الأخت بالمال والهدية أولى مــن الصدقة على غيرها، فحين استشــارت ميمونة ـ رضي الله عنها ـ رســول الله ﷺ في جارية تريد عتقها، قال لها رســول الله ﷺ: «أعطيها أختك، وصلي بها رحمك ترعى عليها، فإنه خير لك» [رواه مالك مرسلاً].

ـ ومن الإحســان إلى الأخت بعد موتهــا تفقد ولدها وزوجها، والدعــاء لها، وإبراء ذمتها ممــا عليها من الحقوق، روى ابن عباس ـ رضــي الله عنهما ـ قــال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رســول الله إن أختي ماتت وعليها صيام شــهرين متتابعين، قال: «أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضيه؟» قالت: بلى، قال ﷺ: «فحق الله أحق» [رواه ابن ماجه].

ـ ومن إكرام الأخت إكــرام أبنائها والحفاوة بهم، فلا يقدم أبناء الأخ علــى أبناء الأخــت، فإن الأخوات يلحظــن ذلك ويؤثر في قلوبهم، دعا ﷺ الأنصار في شــأن خاص، فقال: «هل فيكم أحد مــن غيركم» قالــوا: إلا ابن أخت لنا، فقال: «ابن أخت القوم منهم» [رواه الشيخان].

ـ وللأخت حق الميراث كما نصّت الآيات على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء: ١٢].

ـ والآيات التي تحث على صلة الرحم كثيرة تجاوزت ثمانية عشر موضعاً في كتاب الله ـ عز وجل ـ، والأحاديث كذلك تجاوزت اثنتي عشر حديثاً رويت عن النبي ﷺ، وما ذلك إلا لأهمية هذا الأمر وعناية الإسلام به.

ـ ومن مآثر المروءة والرحم أن الأخت تقدم أخاها في حال الخطر على زوجها وولدها من شدة محبتها له، وَوَجْدها عليه، ووفائها لعهده، وعدم نسيانها لطفولته.

ذكر أهل السير أن الحجاج قال لامرأة ـ أُسِرَ في بعض الحروب زوجُها وابنها وأخاها ـ: اختاري واحداً منهم، فقالت: الزوج موجود، والابن مولود، والأخ مفقود، اختار الأخ، فقال الحجاج: عفوت عن جماعتهم لحسن كلامها.

الأخت في حياة النبي ﷺ

لـم يكن للنبـي ﷺ إخوة وأخوات من النسـب، لأن أباه عبد الله توفـي في المدينة وهـو لم يزل جنيناً في بطن أمه، وتوفيت أمه بالأبواء وله ستان.

لكن للنبي ﷺ جملة من الأخوة والأخوات من الرضاعة، فأول مـن أرضعته ﷺ بعد أمه (ثويبة) مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له مسـروح، فإخوته منها بالرضاعة هم: مسروح، وحمزة بن عبد المطلب، وأبا سلمة.

ثـم أرضعته (حليمة) وإخوته منهـا بالرضاعة هم: عبد الله بن الحارث، وأنيسة، وجدامة ـ وهي الشيماء ـ.

ـ وكان ﷺ يحفـظ لأمه من الرضاعة حق الصلة والإحسـان، ومن ذلك ما جرى عند زواجه من خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقد دعا مرضعته حليمة السعدية لحضور الزواج، ورجعت بأربعين رأساً من الغنم هدية لها منه ﷺ.

ـ وحين غزوة حنين وقد غنم المسـلمون غنائم كثيرة، أخذوا في جملة السـبي (الشيماء) أخت رسـول الله ﷺ من الرضاعة، وقد

كبر سنها وضعف جسمها، فقالت: يا رسول الله إني أختك من الرضاعة.

قال: «وما علامة ذلك؟» قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، فعرف رسول الله العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه، ودمعت عيناه، وخيرها، وقال: «إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة، وإن أحببت أمتعتك وترجعي إلى قومك فعلت» قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي.

فأسلمت ومتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها، ولم يتوقف كرمه عندها، بل منَّ على بني سعد كلهم بذلك.

قال ابن كثير: ولقد كان هذا سبب إعتاقهم عن بكره أبيهم، فعادت فواضله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قديماً وحديثاً، خصوصاً وعموماً.

الزوجة في حياة الأنبياء

جعل الله للرجل منزلاً يأوي إليه، وخلق منه زوجة ليسكن إليها، وترتاح نفسه وتتناسل ذريته، ويبقى أصله. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ـ وأمر ـ عز وجل ـ بإحسان معاشرة النساء في جملة آيات، فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ـ وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» [رواه مسلم].

وجاء في الحديث: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» [رواه أحمد].

ـ وفي الحديث الآخر من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» أو قال: «غيره» [رواه مسلم].

ـ ولعلم الأنبياء بأهمية الأسـرة الصالحـة، والأبناء البررة لجئوا إلى الله ـ عز وجل ـ بالدعاء، مع بذل الأسباب: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

ـ وهـذا إبراهيم ـ عليـه السلام ـ يدعـوا ربه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠].

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ـ وقـال ـ تعالى ـ عن إبراهيم ـ عليه السـلام ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢].

وكذلك أيوب ـ عليه السلام ـ استجاب الله دعاؤه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص: ٤٣].

ـ ومن بذلهم الأسباب ما ذكره الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم عن إسماعيل ـ عليه السلام ـ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥].

وهذا يعقوب ـ عليه السلام ـ ينادى أبناءه قبل موته ليطمئن على حالهـم وهو في لحظات الموت، ومفارقة الدنيا: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ـ وقد دعا زكريا ربه بقوله: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم: ٥ ـ ٦].

ـ وقد ذكر الله زكريا وطلبه للولد: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩] فاستجاب الله دعاءه، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ـ وقد استجاب الباري الحكيم دعاء زكريا لزوجته: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ـ وفي وسط هذه الأسر من زوجه وأولاد كانت حياة الأنبياء حياة عامرة بالطاعة، وحافلة بالعبادة، ولهذا كان لزوجات الأنبياء دور رائد، وصبر ملموس، وجهاد محسوس في مسيرة الدعوة والرسالة.

ومن ذلك: سارة زوجة إبراهيم ـ عليه السلام ـ والمؤمنة بدعوته، ورفيقة جهاده، وصاحبته في هجرته إلى الشام، ثمّ إلى مصر، ليعودا مرّة أخرى إلى الشام فيستقرا هناك.

ويذكر الله ـ عز وجل ـ الهجرة وكيف صنعت هاجر الزوجة الثانية لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ومشاركتها في تحمل التعب والنصب والمشقة، وبقاؤها في أرض جرداء، لا ماء فيها ولا بشر. ليكون إسماعيل جدّاً لنبينا محمد ﷺ.

ـ لقد كانت قصّة هذه المرأة من أشهر قصص التاريخ، وأكثرها غرابة، وأعظمها كفاحاً وصبراً، ويذكر ـ عز وجل ـ تلك الحوادث بقوله على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ـ أما في حال النبي محمد ﷺ، والوصية بالمرأة فإنها تأتي من ثلاثة أمور:

الأول: ما نزل عليه ﷺ من آيات تتعلق بحقوق المرأة؛ كالإرث والطلاق، ومنها ما كان خاصّاً في حياته الأسرية وتعليماً لأمته، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ

بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

الثانـي: ما ورد في سـنته ﷺ قولاً وفعلاً وتقريـراً، وهو كثير ومبسوط في كتب السنة من رواية الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

الثالـث: ما نقلته لنا أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ مما كان يجري في بيته ومع زوجاته، وفيها أمور خاصة لا يعرفها إلا هنَّ ـ رضي الله عنهن.

وإذا جُمعت هذه الثلاث كانت عقداً متكملاً، وبناء تامّاً متناسـباً متناسقاً. يحكي واقع المرأة وحالها في حياة النبي ﷺ.

الزوجة في القرآن

يعبر القرآن عن الرجل بالزوج، وأحياناً بالبعل، وأحياناً أخرى عن المرأة بالزوج وبالمرأة في مواضع أخرى، وعند استقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الزوجة متى تحظى بهذا الاسم ومتى لا تكون كذلك.

نجد أنه إذا كانت الزوجية تامة والعشرة قائمة فهي تسمى زوجة، وما عداها امرأة وفي الآية تحقق ذلك، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

وبهذا كانت حواء زوجاً لآدم في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وكذلك في زوجات النبي ﷺ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

يقوم معنى الزوج على الاقتران القائم على التماثل والاتقان والانسجام التام، فالزوج انضم إليه مماثل من جنسه، ولذا تستعمل للرجل والمرأة، ولذلك لا يطلق القرآن كلمة زوج على الرجل أو المرأة إلا إذا كانت الحياة الزوجية متفقة ومستقرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وإذا حدث خلل أو نزاع أو خلافات في الحياة الزوجية يأتي البعل: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء:١٢٨].

وكذلك الاختلاف في الدين كما في قصة نوح، ولوط لأنهما كافرتان، فهن لسن زوجات لهم، وإنما هي امرأة تحته، وكذلك امرأة فرعون لأن بينها وبين زوجها فرعون مانع من الزوجية فهي مؤمنة وهو كافر: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ...﴾ [التحريم: ١١].

وكذلك عدم الانجاب فامرأة زكريا ـ عليه السلام ـ تسمى امرأة في المواضع ﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [مريم: ٥].

وعندما ولدت يحيى جاء السياق باسم الزوجة: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] ولم يقل لأزواجهن لأن البعل أعم فالزوج لا تطلق إلا في حال الاتفاق والانسجام. فلو قال ـ تعالى ـ (ولا يبدين زينتهن إلا لأزواجهن) لقلنا أن المرأة وقت الخلافات أو عدم الإنجاب لا تظهر زينتها لبعلها في جميع الحالات.

وفي الميراث علق ـ سبحانه وتعالى ـ التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة. إيذاناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجة المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع التوارث. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢].

الزوجة في حياة النبي ﷺ

حث الشارع الحكيم على إكرام المرأة في كل موضع، وخص المرأة كونها زوجة، وجعل لها حقوقاً عظيمة.

ومن حقوقها: المعاشرة بالمعروف، ولين الجانب، والإحسان إليها في المأكل والمشرب والملبس، والرفق بها، وإكرامها، والصبر عليها، وحسن معاملتها، وطيب المعشر معها، ويجمع ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

ونبينا محمد ﷺ هو نبي الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على خُلقه ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤].

وتجلى هذا الخلق في بيته وبين أسرته، فقد كان ﷺ، رفيقاً بزوجاته، وودوداً رحيماً ببناته، حفياً بحفيداته، يعاملهن بخلق رفيع وعشرة طيبة.

وكان يقول ﷺ: «حبب إليَّ من الدنيا: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة» [رواه النسائي].

ولم يستنكف ﷺ وهو يظهر مشاعره، وقد سأله عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك؟ قال «عائشة» [متفق عليه].

وكان الفاصل لخيرية الرجال في عشرة الزوجات، قوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» [رواه الترمذي].

ولهذا فإن بيوت الكرام تبنى على الفضل لا على العدل، وعلى المسامحة لا على المشاحة.

وقد كان للنبي ﷺ زوجة وأسرة، وبيت ومسكن، تتجلى فيه أبهى الصور وأعظم العلاقات الزوجية، ندلف لنرى داره وواقع حياته، فزوجاته ﷺ هن:

أمهات المؤمنين:

تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة، دخل بثلاث عشرة منهن، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع، فأما اثنتان منهن فأفسدتهما النساء فطلقهما.

وخمس من زوجاته ﷺ من قريش، هن: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وسودة، وأم حبيبة.

ومن غير قريش: ميمونة الهلالية، وجويرية الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيي الخيبرية.

وسنذكر ترجمة سريعة لأمهات المؤمنين، فأولهن:

خديجة:

كان البيت النبوي في مكة قبل الهجرة يتألف منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ون زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ، المرأة الصابرة الحكيمة، صاحبة العقل الراجح والتجارة الرائجة، نفع الله بها الإسلام والمسلمين في بداية انطلاق الرسالة وبعثه النبي ﷺ.

وكما كان للمرأة دورها في حياة إبراهيم وموسى وعيسى، نجد دورخديجة واضحاً وعظيماً في حياة النبيّ محمّد ﷺ ودعوته؛ فهي أوّل من حدّثها النبيّ ﷺ بعد عليّ ـ رضي الله عنه ـ بدعوته، فآمنت به وصدّقته، وبذلت أموالها الطائلة لنصرة الإسلام، ولاقت معه صنوف الأذى والاضطهاد على امتداد عشر سنوات من حياتها، ودخلت معه الشُّعب، وتحمّلت معاناة الحصار الذي دام ثلاث سنوات.

وقد كان زواج رسول الله ﷺ بخديجة بعد عودته من رحلة الشام، بشهرين وأيام، وأمهرها أبو طالب اثنتي عشرة أوقية ونَشاً، يعني خمسمائة درهم.

تزوجها وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره الشريف، وهي في الأربعين، وقيل في الخامسة والأربعين. وهي أول من تزوجها من النساء، ولم يتزوج عليها غيرها.

وأمهر أبو طالب اثنتي عشرة أوقية ونَشاً ـ أي خمسمائة درهم ـ، وأصدقها رسول الله ﷺ زيادة على ذلك عشرين بكرة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسباً، وأكثرهن ثروة، وأوفرهن عقلاً.

فقام الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسعد، فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب، فزوجها عمها.

وقد خطب أبو طالب في ذلك اليوم، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزَرع إسماعيل وضئضئ (أصل) مَعد، وعنصر مُضر، وجعلنا حضَنَة بيته، وسُوّاس حرمه، وجعله لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخي لا يوزن به رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً، وإن كان في المال قُلّ، فإن المال ظل زائل، وأمر حائر، وعارية مسترجعة، وهو بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة، وقد بذل لها من الصداق خمس مئة درهم.

وهكذا تم الزواج المبارك بحضور الأقارب. وكان ممن شهد عرسه ﷺ وزواجه بخديجة مرضعته حليمة السعدية ففازت بالحضور، ورجعت قافلة لديارها بأربعين رأساً من الغنم هدية لمن أرضعت.

وقد دخل النبي ﷺ بخديجة ـ رضي الله عنها ـ وعاشت بجواره وفي كنفه خمساً وعشرين سنة، فكانت له نعم الزوجة، وكان لها نعم الزوج، وأكرمها الله ـ عز وجل ـ بالذرية، فقد ولدت لرسول الله ﷺ بنين وبنات، وكل أولاده من خديجة، حاشا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

ـ أما الأبناء، فلم يعش منهم أحد.

وأما البنات فهن أربع: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

وقد توفيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ بمكة في رمضان سنة عشر من النبوة ودفنت بالحجون، ولها من العمر خمس وستون سنة.

من فضائل خديجة:

خديجة ـ رضي الله عنها ـ لها الفضائل الجمة والمنزلة العالية، فهي أول امرأة تزوجها ﷺ، وأول امرأة ماتت من نسائه، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، وأمر جبريل أن يقرأ عليها السلام من ربها.

وكـان ﷺ مثالاً عالياً في الوفاء لهـذه الزوجـة الـرؤوم خديجة ـ رضـي الله عنهـا ـ حيث كان كريماً في معاملتهـا، يحترم رأيها ويقدر لها منزلتها، بل ويظل يذكرها ويثني عليها بعد وفاتها، وكان يحفـظ ودها، وود صويحباتها بعد موتها، وكان لا يعدل بها أحداً بالرغم أنه تزوجها وهي تكبره سناً قرابة الخمسة عشر عاماً.

ـ ولبيان مظاهر تكريم النبي ﷺ للمرأة لابد من الإشارة إلى أن دعـوة النبي محمد ﷺ بدأت على حجر امرأة وهي خديجة عندما أرادت أن تتأكـد من أمر الوحي، وانتهـت على صدر امرأة عندما توفي النبي ﷺ وهو بين صدر عائشة ونحرها.

ـ والفضـل الذي نالته خديجة في نصرة رسـالة محمد لا يدانية فضل؛ حيث واسـت النبي ﷺ بمالها وجهدهـا وحكمتها، حتى أصبـح العام الذي توفيت فيـه خديجة ـ رضي الله عنها ـ يوصف بكونـه عام الحزن؛ وهذا كله يبرز أن المرأة كانت ذات مكانة عظيمة عند النبي ﷺ.

ـ ومـن تأمل في تكريمه ﷺ للزوجة يجد مسـاحة واسـعة من ذلك، بدأها بزوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ التي جاءها تكريمها على لسـان جبريل في الحديث عن أبـي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «**يا رسـول الله هذه خديجة قد أتت**

معها إناء فيه إدام أو طعام أو شـراب فإذ هي أتتك فاقرأ عليها الـسلام من ربهـا ومني، وبشـرها ببيت في الجنة من قصـب لا صخب فيه ولا نصب» فهذا تكريم عظيم، وبشـارة لخديجة بالجنـة، وهي أعلى مطالب المسلم وأجلها وأعظمها.

ـ ومـن أنصع صور التعامل بـين الزوجين في هذا البيت المبارك الاحترام المتبادل والحـب العظيم، ويكفى أن نذكـر ثناء خديجة ـ رضـي الله عنها ـ على النبي ﷺ حين نزول الوحي عليه، حين قـال: «دثرونـي» فما كان منها إلا أن هـدأت روعه بقولها: كلا، أبشـر، فـوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصـل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر.

ولـم تكتف بذلك، بل انطلقت به حتـى أتت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل لتخبره بأمر النبي ﷺ، مواسية ومطيبة له.

سـودة:

أم المؤمنين: سـودة بنت زمعة ـ رضي الله عنها ـ، من المؤمنات المهاجرات تزوجها رسـول الله ﷺ في شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بأيام، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له السكران بـن عمرو فمات عنها، وقد خرجت مهاجرة إلى الحبشـة مفاضية

لقومها، فلما مات زوجها خشي عليها النبي ﷺ من بطش قومها، ورق لحالها ورأف بمصابها فتزوجها.

وعندما كبرت وطعنت في السن ومن محبتها للنبي ﷺ وما تراه من إكرامه ورعايته لها؛ خشيت أن يطلقها فوهبت ليلتها لعائشة ـ رضي الله عنها ـ. وقد توفيت بالمدينة، في شوال سنة أربع وخمسين للهجرة.

عائشة:

أم المؤمنين: عائشة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ، تزوجها رسول الله ﷺ في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، تزوجها وهي بنت ست سنين، وبنى بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر في المدينة، وهي بنت تسع سنين، وكانت بكراً ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، وأفقه نساء الأمة، وأعلمهن على الإطلاق، وقد توفيت في السابع عشر من رمضان سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين للهجرة، ودفنت بالبقيع.

حفصة:

أم المؤمنين: حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ، تأيمت من زوجها البدري صاحب الهجرتين ـ الحبشة والمدينة ـ

الصحابي خنيس ابن حذافة السهمي الذي توفي بين بدر وأحد لجرح أصابه في بدر، ثم انتقض عليه وقد حزنت عليه حزناً شديد، وحزن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لحزنها، فعرض زواجها على أبي بكر وعثمان، فاعتذر عثمان وسكت أبو بكر، وما لبث عمر أياماً حتى خطبها رسول الله ﷺ ولقيه أبو بكر وأخبره سبب سكوته وأن النبي ﷺ كان قد ذكرها. فكره إفشاء سر رسول الله ﷺ فلما حلت تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث للهجرة.

وقد طلقها رسول الله ﷺ ثم راجعها بعد أن أتاه جبريل فقال له: «راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة» [رواه الطبراني].

وقد توفيت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين للهجرة ودفنت بالبقيع، ولها ستون سنة.

أم سلمة:

أم المؤمنين: أم سلمة هند بنت أبي أمية ـ رضي الله عنها ـ، من المهاجرات إلى الحبشة ولها مواقف مشهورة في غزوة أحد.

كانت تحت أبي سلمة، فمات عنها في جمادى الآخرة سنة أربع للهجرة. وخلف وراء أربعة من الأولاد. فرق لحالها رسول الله ﷺ وتزوجها. ويذكر أن أبو سلمة ابن عمة رسول الله ﷺ،

وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة.

روي أنها قالت: أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ قولاً فسررت به، قال: «لا تصيب أحداً من المسلمين مصيبة، فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: اللهم أْجُرْنِي في مصيبتي وأَخْلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك به».

قالت أم سلمة: حفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منه. ثم رجعت إلى نفسي قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي، استأذن عليَّ رسول الله وأذنت له. وقلت له: مرحباً برسول الله ﷺ إني امرأة غيرى، وإني مصبية. وليس أحد من أوليائي حاضراً.

فقال رسول الله ﷺ: «أما قولك إني مصبية فإن الله يكفيك صبيانك، وأما قولك إني غيرى فأدعوا الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس منهم أحد شاهد ولا غائب إلا سيرضاني» فتزوجها رسول الله ﷺ في شوال من نفس السنة، وكانت من أفقه النساء وأعقلهن، توفيت سنة تسع وخمسين للهجرة، ودفنت بالبقيع، وعمرها أربع وثمانون سنة.

زينب:

أم المؤمنين: زينب بنت جحش بن رياب من بني أسد بن خزيمة - رضي الله عنها -، وهي بنت عمة رسول الله ﷺ، وكانت تحت زيد بن حارثة - الذي كان يعتبر ابناً للنبي ﷺ - فطلقها زيد، فأنزل الله - تعالى - يخاطب رسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة من العام الخامس للهجرة، وكانت من أعبد النساء وأكثرهن صدقة، وتسمى بأم المساكين لعطفها ورحمتها لهم. وقد أولم عليها رسول الله ﷺ عندما تزوجها جزوراً فكثر المساكين، فتركهم الناس والطعام. توفيت سنة عشرين للهجرة، ولها ثلاث وخمسون سنة.

وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد رسول الله ﷺ، صلى عليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ودفنت بالبقيع. وقيل توفيت قبل ذلك التاريخ، وصلى عليها رسول الله ﷺ.

جويرية:

أم المؤمنين: جويرية بنت الحارث. سيد بني المصطلق من خزاعة - رضي الله عنها -، كانت في سبي بني المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها،

وتزوجها في شعبان سنة ست للهجرة، فاعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فكانت أعظم النساء بركة على قومها، توفيت ـ رضي الله عنها ـ في ربيع الأول سنة ٥٦ هـ.

رملة:

أم المؤمنين: رملة بنت أبي سفيان ـ رضي الله عنها ـ، تكنى أم حبيبة، كانت تحت عبيد الله بن جحش، وهاجرت معه إلى الحبشة، فارتد عبيد الله وتنصر، وتوفي هناك، وثبتت على دينها وهجرتها، وحزن ﷺ لمصابها في زوجها، ثم هي إن عادت فسوف تعود لقومها وينالها الأذى والشدة، فأكرمها الله ـ عز وجل ـ بنبيه زوجاً لها، فلما بعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمري بكتابه إلى النجاشي في المحرم سنة سبع من الهجرة، خطب عليه أم حبيبة فزوجها إياه وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، فابتنى بها رسول الله ﷺ بعد رجوعه من خيبر في صفر أو ربيع الأول سنة سبع للهجرة، وتوفيت سنة اثنتان وأربعون للهجرة.

صفية:

أم المؤمنين: صفية بنت حيي بن أخطب ـ رضي الله عنها ـ، كانت من سبي خيبر، وهي ابنة سيد بني النضير، من بني إسرائيل، من سلالة هارون ـ عليه السلام ـ فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة سبع للهجرة. وكانت عند أحد الصحابة في السبي، فقيل لرسول الله ﷺ إنها من المكان بقومها وعشيرتها ولا تصلح إلا لك.

وعندما هم رسول الله ﷺ أن يدخل عليها وكانوا على بعد أميال من خيبر، أبت عليه، وعندما وصل إلى الصهباء على بعد من خيبر قبلت، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك فقالت ـ رضي الله عنها ـ: خشيت عليك من قرب اليهود.

ومن حسن وكمال أدب النبي ﷺ وطيب عشرته معها أنه لم يُسمع ﷺ ذاكرا أباها بحرف مما تكره، توفيت سنة خمسين للهجرة، ودفنت بالبقيع.

ميمونة:

أم المؤمنين: ميمونة بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ، أخت أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج العباس ـ رضي الله عنهما ـ.

تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة سبع للهجرة، في عمرة القضاء، بعد أن حل منها وابتنى بها في مكان يقال له: (سرف) على بعد أميال من مكة، وقد توفيت أيضاً بـ(سرف) سنة واحد وستين للهجرة، ودفنت هناك.

ـ فهولاء إحدى عشـرة امرأة تزوج بهن الرسول الله ﷺ، وبنى بهـن، وتوفيت منهـن اثنتان ـ خديجة وزينب أم المسـاكين ـ في حياته، وتوفي ﷺ عن التسع البواقي.

المطلقات

وأما الاثنتان اللتان عقد عليهن ولم يَبْنِ بهما وقد أفسدنهن النساء: فواحدة من بني كلاب، وأخرى من كندة، وهي المعروفة بالجونية. وقد قلن النساء لها: إذا دنا منك فتمنعي، فتمنعت فطلقها.

ـ روى البخاري من حديث أبي أسيد الساعدي قال: خرجنا مع النبي ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له: الشَّـوط حتى انتهينا إلى حائطين جلسـنا بينهما، فقال النبي ﷺ: «اجلسوا هاهنا»، ودخل، وقد أُتِي بالجونية، فأُنزِلَت في بيت نخل في بيت أميمة بنت النعمان بن شـراحيل، ومعها دايتها ـ حاضنة لها ـ فلما دخل عليها النبي ﷺ قال: «هبي نفسـك لي» قالت: وهل تهب المَلِكَةُ نفسـها للسُّوقَة (ولم تعرف أنه رسـول الله) قـال: فأهوى بيده يضـع يده عليها لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: «قد عُذْتِ بمعاذ».

فقال: «يا أبا أسيد اكْسُها رَازِقِيَّتَيْنِ، وألحقها بأهلها».

ـ أمـا الأخرى من بني كلاب، قالت عندمـا توفي إبراهيم ابن الرسول ﷺ: لو كان نبياً ما مات ابنه، فطلقها.

مارية وريحانة:

وأما السراري فقد تسرى باثنتين: إحداهما مارية القبطية، أهداها لـه المقوقس، فأولدها ابنه إبراهيم، الذي توفي صغيراً بالمدينة في حياته ﷺ، في شهر شوال سنة عشر من الهجرة.

والسرية الثانية: هي ريحانة بنت زيد النضرية أو القرظية، كانت من سبايا قريظة، فاصطفاها ﷺ لنفسه.

حياة النبي الزوجية

من تأمل في حياة النبي ﷺ وأزواجه وملابسات ذلك الزواج يتضح أنه لم يكن نتيجة رغبة طارئة، وإنما كان لكل حالة زواج ظروفها الإنسانية والاجتماعية والسياسية الخاصة.

ـ فقد أمضى ﷺ مع زوجته الأولى خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ أكثر من عشرين سنة وهي التي تكبره بخمس عشرة سنة تقريباً! ومما يدعو ويلفت النظر، أنه ﷺ بعد وفاة خديجة لم يلتفت إلى فتيات قريش الموصوفات بالجمال البارع والحسن الفائق، وإنما وقع اختياره على امرأة مسنة وأرملة من مهاجرات الحبشة، فبعد عودتها من هجرتها ووفاة زوجها في مكة تزوجها رسول الله ﷺ؛ تلك هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة.

ـ أما عائشة بنت أبي بكر وهي أصغر أزواج رسول الله ﷺ، حيث خطبها إلى أبيها وهي في سن السادسة ودخل بها في المدينة وهي في سن التاسعة إنما تم برؤيا رآها النبي ﷺ، ورؤيا الأنبياء حق، إذ أُري صورتها في المنام أكثر من مرة. ثم إن زواج رسول الله ﷺ، منها كان فيه تكريم لأبيها الصديق، لمواقفه الصادقة من النبي ﷺ ودعوته.

ـ وكذلك الأمر بالنسبة لحفصة بنت عمر بن الخطاب، فقد تأيمت من زوجها خنيس بن حذافة السهمي في السنة الثالثة من الهجرة، ولم تكن قد جاوزت العشرين من العمر، وعرضها أبوها على كل من أبي بكر ثم عثمان بن عفان فلم يلق منهما جواباً، فخطبها رسول الله ﷺ وتزوج بها.

ـ وفيما يتصل بزواج الرسول ﷺ من أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية، فله ظروفه وأسبابه، حيث إن أم سلمة قد هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى بلاد الحبشة في الهجرتين جميعاً، ثم عادا إلى مكة ومن بعد إلى المدينة، وفي السنة الرابعة من الهجرة توفي أبو سلمة، وتأيمت أم سلمة على أربعة أطفال، ومعلوم أن زوجها أبا سلمة هو ابن عمة رسول الله ﷺ، فكان له في نفس الرسول ﷺ مكانة خاصة، فأحب أن يضم زوجه وأبناءه تحت جناحه ولطف

رعايته، فكان زواجه من أم سلمة، المرأة التي ناهزت حينها الخامسة والثلاثين، وليس فيها مطمع لطامع. وليس من المستبعد أن زواج رسول الله ﷺ من أم سلمة إضافة لما سبق من أسباب رغبة النبي ﷺ في دعوة قومها؛ إذ إن أم سلمة من بني مخزوم وهم من بيوتات قريش نافذة الكلمة.

- أما زينب بنت جحش، فهي كذلك ابنة عمة رسول الله ﷺ، وكان زواجها من زيد بن حارثة على غير إرادة منها وكان الطلاق متوقعاً لعدم التوافق بينهما، ثم كان زواج رسول الله ﷺ منها بأمر من السماء، حيث نزل القرآن بذلك.

- وزواج رسول الله ﷺ من جويرية بنت الحارث وكذلك صفية بنت حيي فهما حالتان تحكمهما ظروف واحدة أو متشابهة، فكلتا المرأتين كانتا أسيرتي حرب، وكلتاهما ابنتا سيد قومهما: الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق، وحيي بن أخطب سيد بني النضير، فأراد الرسول ﷺ أن يشملهما بعطفه ويظلهما تحت جناح رحمته ويرفعهما من ذل الأسر، إلى مصاف أمهات المؤمنين.

- ثم إن زواج رسول الله ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان، كانت لأسباب خاصة، فأم حبيبة قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى بلاد الحبشة، وبعد حين تنصر زوجها هناك وثبتت أم

حبيبة على إسلامها، وقاست ما قاسته من مرارة ردة زوجها عن الإسلام، ومعاناة الغربة وغصصها، فما أن علم رسول الله ﷺ بمحنتها حتى بادر وطلب الزواج لأنها لو عادت إلى مكة فقد يصيبها أمر من أهلها، حيث كانوا جميعهم على الشرك ويناصبون الإسلام العداء. ولعل رغبة النبي ﷺ في دعوة قومها من تلك الأسباب إذ أن والدها أبو سفيان كان سيد مكة، لذلك فإن زواج رسول الله ﷺ من ابنته قد يؤثر إيجاباً على موقفه وقومه من الإسلام.

ـ وتعد ميمونة بنت الحارث الهلالية، آخر أزواج النبي ﷺ، وهي أخت أم الفضل زوج العباس عم الرسول ﷺ، وهي في الوقت ذاته خالة خالد بن الوليد المخزومي، وخالة عبد الله بن عباس، وهي أخت أسماء بنت عميس لأمها، زوج جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب، وهي امرأة مسنة حيث سبق لها من قبل فأكرمها رسول الله ﷺ وتزوجها، وتدثرت بفضل عظيم، وتنادى بأم المؤمنين ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ.

معاملته ﷺ مع زوجاته

كانت بيوت النبي ﷺ أو حجراته متواضعة بسيطة، كل حجرة لا تتجاوز مساحتها عشرين متراً مربعاً، يصفها الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فيقول: كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام وأتناول السقف بيدي.

وقال داود بن قيس: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشًّى من خارج بمسوح الشعر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من ستة أو سبعة أذرع، وأحرز البيت من الداخل عشرة أذرع.

وكان فيها فرش بسيط؛ حصير ووسادة محشوة بليف.

بيت فيه التواضع والزهد، تحدث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بقولها: «... إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهله في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله نار. قال: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها. فيسقيناه» [رواه مسلم].

ذلك هــو ظاهر البيت النبوي الكريم.. بيت بسـيط في مبناه، عال في معناه، تنزلـت فيه الآيات، مليء بالنور والإيمان، والحب والحنان.

كان ﷺ يتمثل القرآن في حياته العامة والخاصة، وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤].

والرجل تظهر شـخصيته الحقيقية في بيته وبين زوجاته وأولاده، حيث هو الآمر الناهي، ولا مجال للمجاملة أو التصنع.

ويكفـي قـول أم المؤمنين صفية بنت حيـي ـ رضي الله عنها ـ حيث قالت: «ما رأيت أحداً أحســن خُلقاً من رسول الله ﷺ» [رواه الطبراني في الأوسط].

لقـد كان للنبي ﷺ مواقف معبرة ولحظات كريمة تنبئ عن حياة أسـرية راقية وتعامل فذ، فقد كان ﷺ رحيمـاً بزوجاته، يخفف أحزانهن ويواسـي جراحهن، ويمسـح دمعتهن، ويأكل ويشـرب معهن، ويعينهن على أعباء المنزل، ويدخل السـرور على قلوبهن، ويتحين الفرص لإدخال الفرح عليهن.

ومن سـيرته ﷺ أنه طيـب النفس كريماً سـمحاً ليناً، يتغاضي عن هفواتهـن ولا يتصيد أخطاءهن، ومـن ذلك ما جرى له بنص القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ

بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

والمتأمل في حياة النبي ﷺ الأسرية وزوجاته، يلحظ أنه تزوج ﷺ وعمره خمس وعشرون عاماً، وبقيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ زوجته الوحيدة، ثم بعد وفاتها تزوج سودة وبقيت معه ثلاث سنين ليس له زوجة إلا هي، وأما عائشة ـ رضي الله عنها ـ وبقية زوجاته فلم يتزوجهن إلا بعد أن بلغ ﷺ ثلاثاً وخمسين سنة.

وسنذكر بعض مظاهر تكريم النبي ﷺ للمرأة كزوجة، وبالرغم من تعدد زوجاته وتلون أطيافهن واختلاف أعمارهن، إلا أنه ﷺ حسن التعامل مع جميعهن، وهن كذلك بقين وفيات له بعد وفاته، مما يشير بوضوح إلى كمال تكريمه لهن حال حياته معهن، ومن تلك المشاهد التي نقلت إلينا من بيت الرسالة والنبوة:

• **الرؤية قبل الزواج:**

إذا اتجهت الأنظار إلى فتاة بعينها، فإن في ذلك وصية النبي ﷺ حيث قال: «**إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**» [رواه أحمد]. وكل ذلك داع إلى التوافق وحسن الاختيار.

وإذا تمت الخطبة ودخل بها وضع يده على ناصيتها ودعا له ولها بالخير. وهذا نوع طمأنينة وتوكل على الله، ودعوة صادقة بحياة كريمة طيبة.

• حسن اختيار الزوجة:

الزواج حياة طويلة، ومسؤلية عظيمة، وحتى يكون هناك تجانس وتقارب للقلوب، لا بد من حسن الاختيار، وقد أجمل النبي ﷺ ذلك بقوله: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وقال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» [رواه مسلم].

• المهر:

جعل الله ـ عز وجل ـ للمرأة المهر، وحث الإسلام على عدم المغالاة في المهور تيسيراً لأمر الزواج، قال ﷺ: «إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها، وتيسير رحمها» [رواه احمد].

وقد أمهر رسول الله ﷺ حفصة، بساطاً ووسادتين، وكساءً رحباً، يفترشان في القيظ والشتاء نصفه، ويلتحفان نصفه، وإناءين أخضرين، وأولم عليها المهاجرون دون الأنصار، وطبة مأقوطة بسمن وتمر عجوة وسويقاً مكتوتاً. وكان صداقها أربع مئة درهم.

وقد جاء في رواية عن عائشة، أن صداق رسول الله لنسائه، اثنتا عشرة أوقية وَنَشّاً فذلك خمس مئة درهم، قالت عائشة: الأوقية أربعون والنشُّ عشرون. وجاء في رواية أخرى عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ ما أصدق نساءه ولا بناته أكثر من اثنتي

عشرة أوقية، وهي ثمانون وأربع مئة درهم.

• التهيؤ لدخول المنزل:

كان ﷺ يدخل بيته ببشر وسرور، وكان أول ما يبدأ به السواك طهارة ونظافة للفم. سُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: «بالسواك» [رواه مسلم].

وذكر بعض أهل العلم فائدة ونكتة علمية دقيقة، قالوا: فلعل النبي ﷺ كان يفعل ذلك يستقبل زوجاته بالتقبيل.

• السلام عند الدخول:

أمر ﷺ بإشاعة السلام لما فيه من الطمأنينة والراحة والأنس، وكان يفعل ذلك عند دخول منزله: قال أنس: قال لي رسول ﷺ: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك» [رواه الترمذي].

• ذكر الله:

حياة النبي ﷺ عبادة، وأوقاته معمورة بالطاعة، وكان لبيته نصيب من ذلك، في الحديث عن جابر بن عبد الله أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء...» [رواه ابن ماجه].

• التبسم:

قبل أن ندلف لنرى بعض ما يجري في حياة النبي ﷺ مع زوجته، نطل أطلالة سريعة في حديث مجمل واضح، يحكي حال النبي ﷺ إذا قدم إلى بيته.

سُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت: «كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحّاكاً بسّاماً».

ـ والضحك أعم من التبسم، فكل تبسم ضحك، وليس كل ضحك تبسم. قال الزجاج عند قوله ـ تعالى ـ في قصة سليمان ـ عليه السلام ـ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩] قال: التبسم أكثر ضحك الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وكان عامة ضحك النبي ﷺ التبسم.

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: التبسم دعابة، وهو أبلغ في الإيناس من الضحك.

• غرس العقيدة:

كان ﷺ يربي زوجاته على العقيدة، وعلى الخوف من الله ـ عز وجل ـ وعقابه، تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً، عرف ذلك في وجهه، فتقول له: يا رسول الله

أرى النـاس إذا رأوا الغيم، فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية؟ فقال: «يا عائشة ما يؤمّني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا» [رواه البخاري].

ومما ورد عنه ﷺ في التحذير من المخالفات العقدية التحذير من البناء على القبور، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة ـ رضي الله عنهما ـ أتتا أرض الحبشة فذكرت من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه، فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله» [رواه البخاري ومسلم].

• تعليمها العلم الشرعي:

أمر الله ـ عز وجل ـ بالعلم قبل العمل، فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

ـ والعبادة تستلزم العلم، ولهذا فإن العلم الشرعي مطلب لكل مسلم ومسلمة، قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [رواه مسلم].

ـ وكان ﷺ يعلـــم أهل بيته ومنـه يتلقون العلم، حتى صـارت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقيهة محدثة، تنظم الشعر أيضاً.

ـ قـال أبـو موسى الأشعـري ـ رضي الله عنـه ـ: «مـا أشكل علينا ـ أصحاب رسـول الله ـ حديث قط، فسـألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً» [رواه الترمذي].

ـ وقد بلغ مسـندها ـ رضي الله عنها ـ ألفين ومائتين وعشـرة أحاديث. قال الزهري: «لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين، لكانت عائشة أوسعهم علماً»؛ [رواه الحاكم].

ـ ولتبحرها في فنون العلم وسـعته قيل لها ـ رضي الله عنها ـ: يـا أم المؤمنين، هذا القرآن تلقيته عن رسـول الله، وكذلك الحلال والحرام، وهذا الشـعر والنسب والأخبار سمعتِها عن أبيك وغيره، فما بال الطب؟

قالت: «كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ فلا يزال الرجل يشكو علته، فيسأل عن دوائها، فيخبره بذلك، فحفظت ما كان يصفه وفهمته».

ـ ولم يكن ﷺ يقتصر التعليم على أهل بيته، بل كان ﷺ يحث أصحابه على نشـر العلم وبثه بين أهليهم وفـي بيوتهم، فقد قال ﷺ لمالـك ابن الحويرث ومن معه: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم». [رواه البخاري].

• الحرص على الفرائض:

العبادة أنس القلوب وراحة الأبدان، وهي سبب الخلق، وأصل الوجود، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولذلك فإن الحث على الطاعة والإعانة عليها من صلب وأساس دعوته ﷺ، وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

واثنى الله ـ عز وجل ـ على نبي من أنبياءه هو إسماعيل، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥].

ولم يقتصر أمره ﷺ على زوجاته فحسب، بل كانت العناية بكل من في بيته حتى من الصغار.

قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بت عند خالتي ميمونة، فجاء رسول الله ﷺ بعد ما أمسى، فقال: «أصلى الغلام» قالوا: نعم، فاضطجع حتى إذا مضى من الليل ما شاء الله قام

فتوضأ ثم صلى سبعاً أو خمساً، أوتر بهن لم يسلم إلا في آخرهن» [رواه أبو داود].

• إعانتها على الطاعة:

في لفتة جميلة ورعاية حانية، يؤكد ﷺ على العناية والحرص على أمر العبادة، وينبه على أداء النوافل، فيقول ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء» [رواه أحمد].

وفي الحديث عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول: «سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات، لكي يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة» [رواه البخاري].

• موسم العبادات:

اعتنى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالزوجة في أمر العبادة، في أوقات المواسم الفاضلة والليالي المباركة؛ فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد»؛ [متفق عليه].

• نهيها عن المعاصي:

المسلم يحب لأخيه المسلم ـ ذكراً أو أنثى ـ ما يحب لنفسه، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

ـ ومن أعظم ما يكون تقويم الزوجة إذا زلت، بل والتحذير من ذلك قبل وقوعه، هاهي أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول لرسول الله ﷺ مشيرة إلى قِصَر أم المؤمنين صفية بنت حيي ـ رضي الله عنها ـ، فما كان من رسول الله إلا أن بين لها خطورة الأمر، فقال: «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته» [رواه الترمذي].

ـ ولما رأى ﷺ النمرقة في بيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهة، فقالت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت؟ فقال ﷺ: «ما بال هذه النمرقة؟» قالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها، فقال ﷺ: «أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتكم» [رواه البخاري].

وكان ﷺ يحذر من صغائر الذنوب ويزجر عنها، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة

إياك ومحقرات الأعمال [وفي رواية: إياك ومحقرات الذنوب] فإن لها من الله طالباً» [رواه ابن ماجه].

• الدعاء لها:

من أهم وأعظم الأسباب التي تتقدم بل وتلازم التربية، الدعاء للزوجة والذرية بالهداية والتوفيق، وهذا ديدن الأنبياء والصالحين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]. والله ـ عز وجل ـ مجيب لمن دعاه ولجأ إليه، عندما دعا زكريا طالباً الولد وصلاح الزوجة، استجاب الله دعوته: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ـ وفي الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: لما رأيت من النبي طيب النفس، قلت: يا رسول الله ادع الله لي، فقال: «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسرت وما أعلنت»، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجر رسول الله ﷺ من الضحك، فقال: «أيسرك دعائي» فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك؟ فقال: «والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة» [أخرجه البزار وحسنه الألباني].

وفي الحديث الآخر، عن أم سلمة لما خطبها رسول الله ﷺ، قالت: إني امرأة غيرى، فقال ﷺ: «أما قولك غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك» [رواه ابن حبان].

• الاستغفار للزوجة:

جاء استغفار عباد الله الصالحين للمؤمنين في مواضع عدة، منها قوله ـ تعالى ـ عن الملائكة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

وقول نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

والنبي ﷺ دعا لأمته في مواضع عدة.

بل هاهو يدعوا ويستغفر لزوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ وقد توفيت، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها» [رواه الطبراني].

• تعليمها أفضل الدعاء:

عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني» [رواه الترمذي].

• تعليمها الأذكار الشرعية:

عن جويرية ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة،

فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، فقال: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنه عرشه، ومداد كلماته» [رواه مسلم].

• إرشادهن للأيسر في العبادة:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: كنت أحب أن أدخل البيت ـ أي الكعبة ـ، فأصلي فيه، فأخذ رسول الله بيدي، فأدخلني في الحجر، فقال: «صلي في الحجر إذا أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت» [رواه الترمذي].

• عدم التشديد على النفس:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت، أمسكت به، فقال: «حلوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليقعد» [رواه البخاري].

ـ وتقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الحولاء بنت تويت مرت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل. فقال رسول الله ﷺ: «خذوا

من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا» [رواه مسلم].

• وعظ زوجاته:

كان بيت النبي ﷺ دوحة إيمانية، فقد كان يعظ زوجاته ويذكرهن الدار الآخرة: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان» [رواه أحمد].

• حثهن على الصدقة:

حث النبي ﷺ على الصدقة في أحاديث كثيرة، وقد وعد الله ـ عز وجل ـ بالخلف لمن أنفق ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

وكان من هدي النبي ﷺ كثرة الصدقة والحث عليها، عندما ذبح أهل النبي شاة، سأل النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت عائشة: ما بقي إلا كتفها، فقال ﷺ: «كلها قد بقي إلا كتفها» [رواه الترمذي].

أي: ما تصدقت به فهو باق، وما بقي عندك فهو غير باق.

وقد خص ﷺ للنساء بالصدقة فقال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار..» [رواه مسلم].

• أمرهن بالبر والصلة:

وردت آيات وأحاديث في الحث على البر والصلة، والزجر عن القطيعة، وكان النبي ﷺ يأمر بالصلة.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: استأذن عليَّ (أفلح) أخو أبي القعيس بعد ما أنزل الحجاب، فقلت: له لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي ﷺ، فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل عليَّ النبي ﷺ، فقلت له: يا رسول الله إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن، فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك، فقال النبي ﷺ: **«وما منعك أن تأذني لعمك؟»** قلت: يا رسول الله إن الرجل ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فقال: **«ائذني له، فإنه عمك، تربت يمينك»** [رواه البخاري].

• تحذيرها من الشر:

من هدي النبي ﷺ تحذير أمته عن الشر، ودلالتهم على الخير، وكان ﷺ رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، هاهو يأخذ بيد عائشة في رفق ثم يعلمها.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، ثم أشار إلى القمر، فقال: **«يا عائشة، استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»** [رواه الترمذي] وفي أخذه ﷺ بيدها مزيد عناية، وحرص ورفق وأنس.

• شكر النعمة:

كان ﷺ عابداً حامداً لربه، مكثراً من شكر نعم الله عليه في كل حين، معلماً ذلك لمن حوله، في الحديث عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ إذا رجع من النهار إلى بيته يقول: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، والحمد لله الذي أطعمني وسقاني..».

• التخفيف عليها:

كان ﷺ يراعي حال الزوجات ويعلم الفوارق بين الرجال والنساء، فكان ﷺ رفيقاً بهن، ومن ذلك التخفيف عليهن في أمور العبادات.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة تدفع قبله، وقبل حطمة الناس وكانت امرأة ثبطة فأذن لها، فخرجت قبل دفعه، وحبسنا حتى أصبحنا فدفعنا معه» [رواه البخاري].

• المحافظة عليها:

الزوجة درة مصونة، وجوهرة مكنونة، يحوطها الزوج بعنايته ورعايته، ويخاف عليها ويحذر أن يقع لها ما يكره.

ومما يذكر عن اهتمام النبي ﷺ بأم المؤمنين صفية وإكرامه لها، أنها ـ رضي الله عنها ـ جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره وهو

معتكف في المسجد في العشر الأواخر من شهر رمضان، فتحدثت عنده ساعة من العشاء، ثم قامت تنقلب، فقام معها رسول الله ﷺ يقلبها ـ أي يردها إلى منزلها ـ، حتى إذا بلغت باب المسجد ـ الذي كان عند مسكن أم سلمة زوج النبي ﷺ ـ مر بها رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ ثم نفذا، فقال لهما رسول الله ﷺ: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي» قالا: سبحان الله، يا رسول الله! وكبر عليهما ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً» [رواه البخاري].

ـ وفي الحديث الآخر: أن صفية بنت حيي ـ رضي الله عنها ـ أتت إلى النبي ﷺ تزوره في اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت لتذهب، فقال لها: «لا تعجلي حتى أنصرف معك» [رواه البخاري].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان يدخل على أزواج النبي مخنث، فكانوا يَعُدُّونَه من غير أولي الإِرْبَة، فدخل النبي ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه، وهو ينعت امرأة، قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: «ألا أرى هذا يعرفُ ما هاهنا، لا يدخلنّ عليكنّ» قالت: فحجبوه. [رواه البخاري].

• الوصية بالرفق:

من علامات سعادة البيوت الهدوء والسكينة، والرفق والطمأنينة، وكان ﷺ يحث على هذا ويؤكد عليه.

عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة، ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً، دلهم على باب الرفق» [رواه أحمد].

وكان يوصي بالتقوى مع الرفق في وصيته شاملة جامعة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال لي النبي ﷺ: «يا عائشة عليك بتقوى الله - عز وجل - والرفق، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولم ينزع من شيء قط إلا شانه» [رواه أحمد].

• زوجة دخلت الجنة:

الزوجة المسلمة تعلم أن الدنيا بصفوها وكدرها؛ دار ممر لا دار مقر، لهذا ولاستقرار رباط الأسرة واستمراره وحسن قيامها به؛ جعل الله - عز وجل - طاعة الزوج - في غير معصية الله - من أسباب دخول الجنة، فقال ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» [رواه الترمذي].

بل جعل الله - عز وجل - منازل الجنة للأهل والذرية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

• إدخال السرور عليها:

إدخال السرور جبلّة وخلق رفيع، وكان ﷺ يدخل السرور على زوجته بالكلمة الطيبة والبشارة الحسنة، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن رسول الله ﷺ قال لها: **«أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة»**. قالت: بلى، قال: **«فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة»** [السلسلة الصحيحة].

• رفع اللقمة إلى فمها:

يربي نبينا ﷺ ـ وهو القدوة ـ أمته على الفعال الطيبة والخصال الحميدة؛ لنيل الأجر وكسب القلوب، قال ﷺ: **«إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فيّ امرأتك»** [رواه البخاري].

وفي ذلك مؤانسة وإدخال سرور. قال النووي: وضع اللقمة في فيّ الزوجة يقع غالباً في حال المداعبة، ولشهوة النفس في ذلك مدخل ظاهر، وعلى ذلك إذا وجّه القصد في تلك الحالة إلى ابتغاء الثواب حصل له بفضل الله.

• سؤال بلا عتاب:

يدخل ﷺ إلى بيته جائعاً يبحث عن لقمة تسد جوعه وتقيم صلبه، ولكنه لا يجد. وغالب حالات الإنسان عند الجوع؛ الضيق وسرعة الغضب، وربما رفع الصوت.

فماذا كان صنيعه وفعله ﷺ بعد السؤال؟

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ دخل عليَّ النبي ﷺ ذات يوم، فقال: «هل عندكم شيء؟» فقلنا: لا، قال: «إني إذاً صائم..» [رواه مسلم].

• **الثقة بها:**

العلاقات الزوجية يسودها الوفاق والاتفاق، والثقة والوفاء، وحتى لا يقع شرخ في الأسرة، نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، أن يَتَخَوَّنُهُم، أو يلتمس عثراتهم. [رواه مسلم].

• **المحافظة على مالها:**

جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا يحل مال امرءٍ مسلم إلا بطيب نفس منه» [صحيح الجامع].

وقد جعل الإسلام للزوجة ذمة مالية مستقلة، لا يجوز أن يأخذ الزوج من مال زوجته إلا بطيب نفسه، قال تعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤].

وقد كان ﷺ مشهوراً بالأمانة حتى قبل البعثة، وقد اختارته خديجة ـ رضي الله عنها ـ قبل زواجه لكي يتجر بمالها ويذهب به إلى الشام، فكان ﷺ نعم الصادق الأمين.

• احتساب النفقة عليها:

النفقة على الزوجة واجبة، وزيادة في الترغيب في ذلك كانت الأجور العظيمة، حتى لا يبخل أحد بالحقوق، أو ينقص منها شيء.

قال ﷺ: «.. وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فيِّ - أي فم - امرأتك» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «إذا انفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة» [رواه البخاري].

قال ابن حجر: النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر، فعرفهم أنها لهم صدقة حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم، ترغيباً لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع.

• تشريفها بحمل أمانة المنزل:

مكان المرأة في دارها عظيم، وشرف كبير، ولديها مسؤولية ثقيلة، وواجبات كثيرة، ولهذا قال ﷺ: «والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤلة عنهم..» [رواه البخاري].

• **إنفاقها من بيت الزوجية:**

الزوجة مؤتمنة على بيت زوجها وماله، ولها الإذن بذلك لتنال الأجور قال ﷺ: «.. وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن لها نصف أجره لها» [رواه البخاري].

• **مساعدتها في أعباء المنزل:**

أعباء المنزل لا تنقضي بل هي مستمرة ودائمة، ولكن المشاركة تمنح الحب وتقوي الهمة، فالبيت واحة يشترك فيها الزوجان، ويأكلان ويشربان وينامان..

سُئلت عائشة: «ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان في مهنة أهله». [رواه البخارى].

وقيل لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: «كان بشراً من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه». [رواه أحمد].

• **لا يقبح طعامها:**

الزوجة تكد وتتعب في تحضير وجبة طعام، وقد يكون فيها بعض النقص. فكان حال النبي ﷺ ما ذكره أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه» [متفق عليه].

وفــي هذا الصنيــع الجميل رفعة للنفس وعــدم تجريح لمن عمل وتعب، وتشجيع على الاستمرار والعمل.

• الرفق بها:

كان ﷺ رفيقــاً بزوجاته، هاهو النبي ﷺ والقائد المنتصر، عائداً مــن خيبر بعد أن فتح الله له حصونهــا وأورثه أرضها وديارها، لا يستنكف عن العناية بزوجته والرفق بها.

عــن أنس قال: «.. فرأيت رســول الله ﷺ، يحوي لها [أي: لصفية بنت حيي] وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب» [رواه البخاري].

• يحتمل صدودها:

وفي هذا خلق الرجل القويم، يعفو ويصفح ويحتمل..

يحدث عمر ـ رضي الله عنه ـ فيقول: كنا معشــر قريش نغلب النســاء فلما قدمنــا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نســاؤهم، فطفق نســاؤنا يأخــذن من أدب نســاء الأنصار، فصخبت علــيَّ امرأتي فراجعتنــي فأنكرت أن تراجعني، قالــت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثم أجمعت عليَّ ثيابي فنزلــت فدخلت على حفصة، فقلت لها: أي

حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم. [رواه الترمذي].

• **التغافل والتغاضي:**

كرام الخلق لا يحصون كل شيء ولا يحاسبون على الهفوة، والتغافل وغض الطرف من شيم الكرام، قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: تسع أعشار العافية في التغافل.

ـ وقد ذكر ـ عز وجل ـ من ذلك ما جرى للنبي ﷺ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝﴾ [التحريم: ٣].

• **الحلم عليها:**

البيوت معمورة والأحوال مستورة، ولا تخلو البيوت من بعض المنغصات والمكدرات، لكن كيف تتم معالجتها وإنهاؤها..

ـ ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى، عن أم درة عن ميمونة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة من عندي، فأغلقت دونه الباب، فجاءه يستفتح الباب فأبيت أن أفتح له، فقال: «أقسمت ألا فتحت لي» فقلت له: تذهب لأزواجك في ليلتي هذي.

قال ﷺ بهدوء، ورداً للسؤال ومنهياً الأمر: «ما فعلت، ولكن وجدت حقناً من بول».

ـ وكان له ﷺ مواقف تنبئ عن حلمه وصفحه، ومراعاته أحوال النساء، وكذلك عدله في إعطاء كل ذي حق حقه.

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ: أنها أتت بطعام في صَحْفَةٍ لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر ففلقت به الصَّحْفَةَ، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة، ويقول: «كلوا غَارَتْ أمكم» مرتين، ثم أخذ رسول الله ﷺ صَحْفَةَ عائشة فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صَحْفَةَ أم سلمة عائشة.

هكذا عالج ﷺ الأمر بهدوء وروية، وحكمة وعدل.

• لايضربها:

ليس من عادة كرام الرجال الضرب، بل ولا حتى العتاب إلا في حالات نادرة وضرورة قصوى.. وقد حذر ﷺ من أذية الزوجات، فقال ﷺ: «لا تضربوا إماء الله»، فجاء عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: «ذئِرن النساءُ على أزواجهن»، فرخَّص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساءٌ كثير يشكون أزواجهن، فقال رسول الله ﷺ: «لقد طاف بآل محمَّد نساءٌ كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم»؛ [رواه أبو داود].

ـ بل لم يعهد عنه أنه ضرب إحدى زوجاته، تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له قط». [رواه النسائي].

ـ وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تحكي واقع النبي ﷺ وحاله: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، لا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله» [رواه مسلم].

وكان ﷺ ينبه الصحابة ويعلمهم، ومن ذلك قوله: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» [رواه مسلم].

وقوله ﷺ: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم» [رواه البخاري].

• الدفاع عنها:

كان ﷺ يذود عن زوجاته حتى ولو جرى منهن: عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: استأذن أبو بكر ـ رحمة الله عليه ـ على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ فجعل النبي ﷺ يَحْجُزُهُ، وخرج أبو بكر مُغْضَباً، فقال النبي ﷺ، حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتني أنقذتك من الرجل» قال: فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا،

فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال النبي ﷺ: «قد فعلنا، قد فعلنا» [رواه أحمد].

• إحضار متطلباتها:

البخل يقتل المودة، وربما احتاجت البيوت شيئاً، وربما نقص على الزوجة ما هي في حاجة إليه في حياتها. ولهذا رغَّب النبي ﷺ الأزواج في التوسعة على الزوجات بالنفقة، ووعد على ذلك الأجر والمثوبة، فقال لسعد: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعله في فِيِّ - أي فم - امرأتك» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «أفضل دينار دينار ينفقه الرجل على عياله» [رواه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر» [رواه أحمد].

وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ ذلك أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» [رواه ابن حبان].

وقال الرسول ﷺ مبيناً الحقوق والوجبات: «أطعم إذا طعمت، واكس اذا اكتسيت». [رواه الحاكم].

وكان ﷺ في بيته جواد كريماً، سخي النفس واليد.

• يوضح لها ما أشكل:

في السؤال والمناقشة مع الزوج طرح الرسميات وزرع للثقة، وتعلم للعلم. وكان هذا هو فعل النبي ﷺ.

فعن ابن أبي مليكة أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك» [رواه البخاري].

• لايهجر أثناء الحيض:

كتب الله ـ عز وجل ـ على المرأة الحيض، وكانت الأمم السابقة تستنكف من الجلوس معها حال حيضها، بل وتهجرها ولا تؤاكلها، وهي ليس لها ذنب في ذلك. أما نبي الرحمة ﷺ فإنه ليس إلا صاحب الخلق الرفيع والأدب الجم؛ له مواقف عدة في حال زوجته وما يصيبها.

ـ عن أم مسلمة ـ رضي الله عنه ـ قالت: «بينما أنا مضطجعة مع رسول الله ﷺ في الخميلة، إذ حضت، فانسللت، فأخذت ثياب حيضتي، فقال لي رسول الله ﷺ: «أنفست؟» قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة» [رواه البخاري].

ـ وقالت ميمونة ـ رضي الله عنها ـ: «كان رسول الله ﷺ يضطجع معي وأنا حائض، وبيني وبينه ثوب» [رواه مسلم].

ـ وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «كنت أتعرق العظم وأنا حائض فأعطيه رسول الله ﷺ فيضع فمه في الموضع الذي وضعت فمي فيه، وكنت أشرب من القدح فأناوله إياه فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه» [رواه أبو داود].

ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض، فيقرأ القرآن» [رواه أحمد].

ـ وقد ذكرت ميمونة ـ رضي الله عنها ـ شيئاً من حالته الخاصة فقالت عنه ﷺ أنه: «يباشر نساءه فوق الإزار وهن حُيَّضٌ». [رواه البخاري].

• قوة شخصيتها:

جعل ﷺ للمرأة الحق في المشاورة لأن في ذلك بناء شخصيتها، وتبرز بعض الروايات وجهاً آخر من قوة شخصية أم سلمة، فهي تتمتع بشجاعة أدبية نادرة، وهي تدافع عن حقها وعن رأيها دون تردد، وهي ترد بقوة من يحاول التدخل بشأنها الأسري أو علاقتها بالنبي ﷺ.

ولعل أشهر ما حدث في هذا الخصوص ما ذكره ابن سعد، عندما اعتزل النبي نساءه، حين ألحَحْنَ عليه في التوسع عليهن في النفقه. فسارع أبو بكر وعمر بالطواف على نساء النبي ﷺ واحدة واحدة وحثهن على عدم إرهاق النبي ﷺ والطلب منه ما ليس عنده، حتى دخلا على أم سلمة فذكرا لها ما ذكرا لأزواج النبي ﷺ وكان ردّ أم سلمة حاسماً إذا قالت لهما: ما لكما ولما هاهنا! رسول الله ﷺ أعلى بأمرنا عيناً، ولو أراد أن ينهنا لنهانا، فمن نسأل إذا لم نسأل رسول الله ﷺ، هل يدخل بينكما وبين أهليكما أحد؟ فما تكلفكما هذا؟

ثم خرجا من عندها، فقال أزواج النبي ﷺ لأم سلمة: جزاك الله خيراً حين فعلت ما فعلت، فما قدرنا أن نرد عليهما شيئاً.

ـ ولها موقف آخر ينبأ عن مكانتها وتقديرها للأمور، فقد توسطت لديه في أمر قد يحجم بعض كبار الصحابة عن الدخول فيه.

ذكر الواقدي ما حدث لرسول الله بالقرب من مكة في الطريق لفتحها، حيث اعترضه أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية، فطلبا الدخول عليه وطلب العفو منه، ولكن رسول الله ﷺ أبى دخولهما ورفض مقابلتهما.

فجاءت أم سلمة، فقالت: يا رسول الله! صهرك وابن عمتك، وابن عمك وأخوك من الرضاعة! وقد جاء الله بهما مسلمين، لا يكونان أشقى الناس بك.

فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي بهما، أما أخي [أبو سفيان بن الحارث] فالقائل لي بمكة ما قال؛ لن يؤمن لي حتى أرقى في السماء، وذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ....﴾ [الإسراء: ٩٣] الآية».

ولكن أم سلمة لم تكتف بهذا الرد من الرسول ﷺ وتلوذ بالصمت، بل أعادت عليه الأمر، بأسلوب جميل وطرح واقعي، فقالت: «يا رسول الله! إنما هو من قومك ما هو [تعني: أبا سفيان بن الحارث] وقد تكلم، وكل قريش قد تكلم، ونزل القرآن فيه بعينه، وقد عفوت عمن هو أعظم جرماً منه، وابن عمك وقرابته بك. وأنت أحق الناس عفواً عن جرمه.

• **يحب لزوجته ما يحب لنفسه:**

كان ﷺ يشارك زوجاته في الطعام، ويصحب زوجته معه إذا دعي إلى طعام لتأكل معه، يدل على ذلك ما جاء عن أنس: أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسياً كان طيب المرق، وكانت مرقته أطيب شيء ريحاً، فصنع لرسول الله ﷺ طعاماً ثم جاءه يدعوه، فقال:

«وهذه؟» لعائشة، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «لا»، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «وهذه» فقال: لا، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «وهذه» فقال: نعم، في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله» [رواه مسلم].

قال النووي: فكَرِهَ ﷺ الاختصاص بالطعام دونها، وهذا من جميل المعاشرة وحقوق المصاحبة، وآداب المجالس المؤكدة.

• تكنيتها:

الكنى: جمع كنية. وهو ما يجعل علماً على الشخص غير الاسم واللقب، وتكون مصدرة بلفظ أب أو أم أو بنت، أو اخ او عم أو خال، وتستعمل مع الاسم واللقب أو دونهما تفخيماً لشأن صاحبها أن يذكر أسمه مجرداً.

وأمهات المؤمنين لهن كنى، فهن أمهات أولاد، وعائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تنجب، وجعل ﷺ لها كنية تطييباً لخاطرها وجبراً لنفسها.

عن عائشة قالت: يارسول الله ﷺ كل نسائك لها كنية غيري، فكناها «أم عبد الله» [رواه أحمد].

فهي أم المؤمنين، أم عبد الله ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ.

• المناسبات السعيدة:

حياة المسلم حياة عبادة وطاعة، ولا يمنع أن يكون له ما يعينه على ذلك من المباحات.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «مررت ورسول الله ﷺ بقوم من الحبشة يلعبون بالحراب، فوقف رسول الله ﷺ ينظر إليهم، ووقفت خلفه فكنت إذا أعييت جلست». [رواه البخاري].

وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها: «**يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**» قالت: نعم. [رواه النسائي].

• إدخال السرور:

إدخال السرور على المسلم من أعظم العبادات، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله ـ عز وجل ـ، فقال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم..**» [رواه الطبراني].

وكان هذا ديدن الرسول ﷺ، إدخال السرور على الزوجة وذلك بالفرح بزيارة صويحباتها وترك الوقت لهم للمؤانسة والحديث.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان النبي ﷺ إذا دخل

• المناسبات السعيدة:

حياة المسلم حياة عبادة وطاعة، ولا يمنع أن يكون له ما يعينه على ذلك من المباحات.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «مررت ورسول الله ﷺ بقوم من الحبشة يلعبون بالحراب، فوقف رسول الله ﷺ ينظر إليهم، ووقفت خلفه فكنت إذا أعييت جلست». [رواه البخاري].

وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها: «**يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**» قالت: نعم. [رواه النسائي].

• **إدخال السرور:**

إدخال السرور على المسلم من أعظم العبادات، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله ـ عز وجل ـ، فقال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم..**» [رواه الطبراني].

وكان هذا ديدن الرسول ﷺ، إدخال السرور على الزوجة وذلك بالفرح بزيارة صويحباتها وترك الوقت لهم للمؤانسة والحديث.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان النبي ﷺ إذا دخل

مني، فأَخَذَتْ من القصعة شيئاً فلطخت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك». [رواه النسائي].

- بل وحتى في حالة تعبه ومرضه لا ينسى إدخال السرور على زوجته ومؤانستها.

في الحديث. عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «رجع رسول الله ﷺ من جنازة بالبقيع، فوجدني وأنا أجد صُدَاعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «**بل أنا ياعائشة، وارأساه**» ثم قال: «**ما ضرك لو متِّ قبلي، فقمتُ عليكِ، فغسلتُكِ، وكفنتُكِ، وصليتُ عليكِ، ودَفنتُكِ**» فقالت: لكأني بك - والله - لو فعلت ذلك، لرجعت إلى بيتي، فعرست ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم بُدِئَ بوجعه الذي مات فيه..» [رواه ابن حبان].

- **قبول شفاعتها:**

قبول الشفاعة إكرام للشافع وإظهار لمكانته. وقد كان ﷺ يشفع ويقبل الشفاعة.

ذكر الواقدي: دخل بعض كبار بني مخزوم من أسرى بدر إلى بيت أم سلمة المخزومية. فلم تكلمهم، حتى وجدت رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فقالت: «يا رسول الله، إن بني عمي طلبوا أن يُدخل بهم عليَّ فأضيفهم، وأدهن رؤوسهم، وألم من شعثهم،

مني، فأَخَذَتْ من القصعة شيئاً فلطخت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك». [رواه النسائي].

- بل وحتى في حالة تعبه ومرضه لا ينسى إدخال السرور على زوجته ومؤانستها.

في الحديث. عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «رجع رسول الله ﷺ من جنازة بالبقيع، فوجدني وأنا أجد صُدَاعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «**بل أنا ياعائشة، وارأساه**» ثم قال: «**ما ضرك لو متِّ قبلي، فقمتُ عليكِ، فغسلتُكِ، وكفنتُكِ، وصليتُ عليكِ، ودَفنتُكِ**» فقالت: لكأني بك - والله - لو فعلت ذلك، لرجعت إلى بيتي، فعرست ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم بُدِئَ بوجعه الذي مات فيه..» [رواه ابن حبان].

- **قبول شفاعتها:**

قبول الشفاعة إكرام للشافع وإظهار لمكانته. وقد كان ﷺ يشفع ويقبل الشفاعة.

ذكر الواقدي: دخل بعض كبار بني مخزوم من أسرى بدر إلى بيت أم سلمة المخزومية. فلم تكلمهم، حتى وجدت رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فقالت: «يا رسول الله، إن بني عمي طلبوا أن يُدخل بهم عليَّ فأضيفهم، وأدهن رؤوسهم، وألم من شعثهم،

• يرقيها في حال مرضها :

من أعظم الأدواء الاستشفاء بالقرآن، وفي ذلك شفاء ـ بإذن الله ـ للمريض وإدخال للسرور عليه، وإشعار له بقربه ومحبته، وهكذا كان ﷺ يفعل.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان ﷺ إذا مرض أحدٌ من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات». [رواه مسلم].

• المبادرة لإسعادها:

الإنسان بطبعه يحب أن يروح عن نفسه وأن يأنس بما يرى.

عند مسلم عن عائشة: أنه جاء حَبَشٌ في يوم عيد يزفنون، قالت: فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم.

وفي رواية قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمع لغطاً وصوت صبيان، وفإذا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ والصبيان حولها. فقال: «يا عائشة تعالي فانظري»، فجئت فوضعت لَحَيَّ على منكب رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليها.. فقال لي: «أما شبعت!» قالت: فجعلت أقول لا، لأنظر منزلتي عنده» [رواه الترمذي].

وفي وضع رأس أم المؤمنين على منكب رسول الله ﷺ إشعار بالأنس والسعادة، والمودة المحبة.

• **يرقيها في حال مرضها :**

من أعظم الأدواء الاستشفاء بالقرآن، وفي ذلك شفاء ـ بإذن الله ـ للمريض وإدخال للسرور عليه، وإشعار له بقربه ومحبته، وهكذا كان ﷺ يفعل.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان ﷺ إذا مرض أحدٌ من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات». [رواه مسلم].

• **المبادرة لإسعادها:**

الإنسان بطبعه يحب أن يروح عن نفسه وأن يأنس بما يرى.

عند مسلم عن عائشة: أنه جاء حَبَشٌ في يوم عيد يزفنون، قالت: فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم.

وفي رواية قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمع لغطاً وصوت صبيان، وفإذا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ والصبيان حولها. فقال: «**يا عائشة تعالي فانظري**»، فجئت فوضعت لَحيَيَّ على منكب رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليها.. فقال لي: «**أما شبعت!**» قالت: فجعلت أقول لا، لأنظر منزلتي عنده» [رواه الترمذي].

وفي وضع رأس أم المؤمنين على منكب رسول الله ﷺ إشعار بالأنس والسعادة، والمودة المحبة.

• **التجمل لها:**

الإنسان ـ ذكراً أو أنثى ـ يحب التجمل والنظافة والمظهر الحسن، فكيف الحال بين الزوجين إلا كذلك، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم، وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد ترك ﷺ كثيراً من المباحات كالثوم والبصل ونحوها لرائحتهما الكريهة.

وقد أمر ﷺ أصحابه بالنظافة في الشعر، قال ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه» [رواه أبو داود].

وكان ﷺ وهو في المعتكف يدني رأسه إلى أم المؤمنين عائشة لترجله. وقالت ـ رضي الله عنها ـ: «كنت أغسل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض». [رواه البخاري].

• **اذا رأى امرأة يأت أهله ليرد ما في نفسه:**

حرص الإسلام على حفظ المسلم، وحتى لا تطمح عينه إلى ما حرم الله، ولتكون زوجته هي الغاية والنهاية نهي عن النظر المحرم:

• التجمل لها:

الإنسان ـ ذكراً أو أنثى ـ يحب التجمل والنظافة والمظهر الحسن، فكيف الحال بين الزوجين إلا كذلك، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم، وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد ترك ﷺ كثيراً من المباحات كالثوم والبصل ونحوها لرائحتهما الكريهة.

وقد أمر ﷺ أصحابه بالنظافة في الشعر، قال ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه» [رواه أبو داود].

وكان ﷺ وهو في المعتكف يدني رأسه إلى أم المؤمنين عائشة لترجله. وقالت ـ رضي الله عنها ـ: «كنت أغسل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض». [رواه البخاري].

• اذا رأى امرأة يأت أهله ليرد ما في نفسه:

حرص الإسلام على حفظ المسلم، وحتى لا تطمح عينه إلى ما حرم الله، ولتكون زوجته هي الغاية والنهاية نهي عن النظر المحرم:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠] لكن وإن وقع النظر وخاف الإنسان على نفسه مع دواعي الشهوة فدونه زوجته.. قال ﷺ: «اذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه» [رواه مسلم].

• **الاتكاء على الزوجة:**

إظهار المحبة وإذكاء الحب، يكون بأمور كثيرة، وأحق الناس بذلك الزوجة، وكان للنبي ﷺ مواقف تنبئ عن ذلك، ومنه الاتكأ على الزوجة في لحظات سعيدة، وفي هذا من الأنس وإدخال السرور على الزوجة الكثير، وكان ﷺ يتلمس ذلك ويفعله، تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض». [رواه مسلم].

وفي الحديث الآخر، عندما أخرت عائشة الركب في أحدى السفرات بحثاً عن عقدها الذي ضاع، وليس مع الناس ماء، جاء أبوبكر يعاتبها، قالت: «عاتبني أبوبكر، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ ورأسه على فخذي» [رواه البخاري].

بل توفي رسول الله ﷺ وهو واضع رأسه على صدر زوجته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «توفي النبي ﷺ في بيتي، وفي

نوبتي، وبين سحري ونحري» [رواه البخاري].

• **التنزه مع الزوجة ليلاً:**

حالات الانبساط والتبسط مع الزوجة مطلوبة، فهي تعزز العلاقة وترفع درجة الأنس والمحبة، وهذه حال النبي الرحيم بأمته.

في الحديث عند الإمام البخاري: «كان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث»..

وقد جمع النبي ﷺ التنزه معها والحديث، فكمل لها الأنس وطابت نفسها بذلك.

• **مسح دموعها:**

لغة المشاعر في العيون، واللمسة الحانية، والدعاء الصادق مما يوثق عرى الزوجية ويقويها.

لما برك جمل صفية بنت حيي في طريقهم إلى الحج، وكانت من أحسنهن ظهراً، فبكت، وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده. [رواه أحمد].

• **المبالغة في حديث المشاعر:**

قالت أم كلثوم بنت عقبة ما سمعت رسول الله ﷺ لا يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث منها: «... الرجل يُحدِّث امرأتَهُ، والمرأة تُحدِّثُ زوجها». [رواه أبو داود].

وكان ﷺ ينادي زوجته ب «يا حميراء»، فعن عائشة - رضي الله عنها قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي النبي ﷺ: «يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟» فقلت: نعم. [رواه النسائي].

والحميراء: تصغير الحمراء، وهي البيضاء المشربة بحمرة.

• **الشرب والأكل في موضع واحد:**

إذا طابت الأنفس وصلحت الأحوال، يكون للبيوت طعم خاص ومذاق عجيب، ويكون للزوجة حظوة ومكانة، هاهو ﷺ يشرب بعد زوجته ويناول زوجته لتشرب من نفس مكان شربه ولا يتأفف من ذلك، قالت عائشة - رضي الله عنها -: «كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فَاهُ على موضع فِيَّ، وأتعرَّق العَرْقَ وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فِيَّ». [رواه مسلم].

وكان ﷺ يتسوك من السواك الذي تسوكت به زوجته، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله توفي في بيتي، وفي يومي، وأن الله جمع بين ريقي وريقه وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليَّ، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت له: آخُذُهُ لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم،

وكان ﷺ ينادي زوجته ب «يا حميراء»، فعن عائشة ـ رضي الله عنها قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي النبي ﷺ: «يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟» فقلت: نعم. [رواه النسائي].

والحميراء: تصغير الحمراء، وهي البيضاء المشربة بحمرة.

• **الشرب والأكل في موضع واحد:**

إذا طابت الأنفس وصلحت الأحوال، يكون للبيوت طعم خاص ومذاق عجيب، ويكون للزوجة حظوة ومكانة، هاهو ﷺ يشرب بعد زوجته ويناول زوجته لتشرب من نفس مكان شربه ولا يتأفف من ذلك، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فَاهُ على موضع فِيَّ، وأتَعرَّق العَرْقَ وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فِيَّ». [رواه مسلم].

وكان ﷺ يتسوك من السواك الذي تسوكت به زوجته، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله توفي في بيتي، وفي يومي، وأن الله جمع بين ريقي وريقه وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليَّ، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت له: آخُذُهُ لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فاشار برأسه: أن نعم،

فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ، فاستن به [أي: استاك به] وهو مستند إلى صدري» [رواه البخاري].

• إظهار المحبة والحنان:

كان ﷺ يتلمس مواطن وأوقات لا يشعر فيها الطرف الآخر بالقرب، وذلك حال العمل وانهماكه في تأديه واجب، وكان ﷺ يبحث عن هذه الأوقات والمواطن فيظهر ما يقرب القلوب ويدنيها، ويقرب الأنفس ويحببها..

هاهو في وقت يندر الزمن خارج إلى الصلاة، وهو صائم، وهذه مواطن يكون الإنسان مشغولاً بنفسه، ومع ذلك تكون هناك مساحات واسعة لإظهار الحب والحنان.

تذكر ذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ فتقول: «كان رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه» [رواه مسلم].

• يعلن حبها:

إعلان الحب دلالة على طيب النفس، وإدخال للسرور على الزوجة، وإشعار للطرف الآخر بذلك، فلا يعلم ما في القلوب إلا الله، وفي الحديث: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه» [السلسلة الصحيحة] وعلل ذلك الأمر ﷺ بقوله: «.. فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة» [صحيح الجامع].

فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ، فاستن به [أي: استاك به] وهو مستند إلى صدري» [رواه البخاري].

• إظهار المحبة والحنان:

كان ﷺ يتلمس مواطن وأوقات لا يشعر فيها الطرف الآخر بالقرب، وذلك حال العمل وانهماكه في تأديه واجب، وكان ﷺ يبحث عن هذه الأوقات والمواطن فيظهر ما يقرب القلوب ويدنيها، ويقرب الأنفس ويحببها..

هاهو في وقت يبتدر الزمن خارجٍ إلى الصلاة، وهو صائم، وهذه مواطن يكون الإنسان مشغولاً بنفسه، ومع ذلك تكون هناك مساحات واسعة لإظهار الحب والحنان.

تذكر ذلك عائشة - رضي الله عنها - فتقول: «كان رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه» [رواه مسلم].

• يعلن حبها:

إعلان الحب دلالة على طيب النفس، وإدخال للسرور على الزوجة، وإشعار للطرف الآخر بذلك، فلا يعلم ما في القلوب إلا الله، وفي الحديث: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه» [السلسلة الصحيحة] وعلل ذلك الأمر ﷺ بقوله: «.. فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة» [صحيح الجامع].

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت يا رسول الله، أرأيت لو نزلت وادياً، وفيه شجرة أُكِلَ منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في الذي لم يرتع منها» تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. [رواه البخاري].

• **مسابقته لزوجته:**

تسنح أوقات للفرح وإدخال السرور، ومن ذلك مسابقة الزوجة..

عن عائشة ن رسول الله ﷺ قال لى: «**تعالى أسابقك**»، فسابقته، فسبقته على رجلي، وسابقني بعد أن حملت اللحم وبدنت فسبقني، وجعل يضحك وقال «**هذه بتلك!**» [رواه أبو داود].

وحتى عندما سبقها لم يفتخر عليها، بل طيب خاطرها وقال: «**هذه بتلك**».

• **اللعب مع الزوجة:**

إدخال السرور مطلب شرعي، بل إنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين لأمته أن اللهو واللعب مع الزوجة مما يثاب عليه الرجل؛ بل لا يُعد من اللهو أصلاً؛ فقال ﷺ: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ولهو، إلاَّ أربعة خصال: مشي بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة**» [رواه الطبراني].

وفي الحديث الآخر: «ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله» [رواه أبو داود].

• الغسل معها في إناء واحد:

ومن رفقه ﷺ وحسن عشرته؛ أنه كان أحياناً يغتسل مع زوجته من إناء واحد، وتأخذهما السعادة حتى تقول له: «دع لي» ويقول لها: «دعي لي» [رواه النسائي].

• لا ينشر خصوصياتها:

البيوت المسلمة بيوت هادئة، مستورة الحال، مطمئنة البال، لا تخرج أحاديثها وأسرارها، خاصة بين الزوجين. ولهذا حذر الرسول ﷺ من ذلك، حيث قال: «إن من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها». [رواه مسلم].

• بث ما في النفس:

كان ﷺ يذكر ما لاقاه من قومه على سبيل الإخبار وليس الشكوى، وفي ذلك إدخال للسرور على زوجته وأنها في مكان النفس، ومحل الثقة، فيخبرها بما في نفسه وبما يجد من شدة، ومن ذلك سؤال عائشة للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم

يجيبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً» [رواه البخاري].

• إكرام أهلها:

من إكرام الزوجة إكرام أهلها والفرح بهم، وإعانتهم، وقد كان النبي ﷺ حفيّاً بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بل تعدى الهدي النبوي إلى الوصية بأمهات في عمق التاريخ، قال ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً» أو قال: «ذمة وصهراً» [رواه مسلم].

الرحم: لكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر، فلكون مارية أم إبراهيم منهم.

• ذكر فضلها:

النبي ﷺ، يكرم من حوله بالبذل والعطاء، ومن أعظم ذلك وأهمه، العطاء النفسي.. ومن مظاهر تكريمه ﷺ لزوجته عائشة

قولــه: «يا عائش هذا جبريل يقرئك الســلام» فقالت: وعليه الســلام ورحمة الله وبركاته. [رواه البخاري].

فـذكر اســمها مدللاً «يـا عائش» ثم ذكر ســلام جبريل ـ عليه السلام ـ.

• لا يريها ما تكره:

كان ﷺ من أرق الناس مشاعراً وأكثرهم تلمساً لذلك.. بل وكان ﷺ رفيقاً رحيماً بزوجاته، فلما أمر بلالاً بعد فتح خيبر، أن يذهب بصفية إلــى رحله، فمر بها بلال على وســط القتلى، فكره ذلك رسول الله ﷺ وقال: «أذهبت منك الرحمة يا بلال».

• بث الطمأنينة في نفسها:

المــرأة تحتاج إلى أن تكون في دارها آمنة من دخول ضرة عليها، وتكون آمنة من طلاقها، خاصة أن هذا الحق الشرعي للزوج سياطاً يضرب به بعض الأزواج ليل نهار.

أمــا النبي ﷺ فإنه يراعي ذلك.. في حديث أم زرع الطويل في راوية قال ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ بعد أن أنصت لحديث أم زرع الطويل: «إلا أنه طلقها وأني لا أطلقك».

• **يمتدح من يحسن لأهله:**

حث ﷺ على حسن العشرة مع الزوجة، وكان ﷺ هو تاج ذلك ورأسه.. قال ﷺ معلماً لأصحابه وراسماً لهم خطاً بيناً ومنهجاً واضحاً لدوام العشرة، وحسنها وطيبها: «خياركم خيارُكم لنسائهم». [رواه الترمذي].

• **يشكر النعمة:**

كان ﷺ رأس الشاكرين الحامدين لربهم، إذا فرغ من طعامه قال: «اللهم أطعمت وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت» [رواه أحمد].

• **مشاورتها وقبول رأيها:**

لما فرغ رسول الله ﷺ من كتابة الصلح يوم الحديبية، قال لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» فثقل الأمر على الصحابة وكان حنينهم إلى مكة. فدخل ﷺ على - أم المؤمنين - أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له - رضي الله عنها -: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بُدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ﷺ فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الصحابة فعله، قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً. [رواه البيهقي].

• يمتدحها ويثني عليها:

جاء في حديثه ﷺ أنه قال: «والكلمة الطيبة صدقة» ومن أعظم الكلمة الطيبة الثناء العاطر على الزوجة، وذكر محاسنها وفضائلها، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». [رواه مسلم].

• مراعاة حاجتها:

حاجات الإنسان متعددة ومتنوعة، ومشاركته فيما أهمه من حاجاته من أهم أسباب استمرار العشرة وكسب القلوب، فقد كان ﷺ يحبس (أي يؤخر) الجيش للبحث عن قلادة أسماء التي فقدت من عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ في السفر. كما في قصة حادثة الإفك.

• يواسيها عند بكائها:

ساعات الحزن ساعات كئيبة، تحتاج إلى معين بعد الله ـ عز وجل ـ، وهكذا كان رسول الله ﷺ مع زوجاته..

ـ هذه أم المؤمنين صفية كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان ذلك يومها، فأبطئت في المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهى تبكي، وتقول: «حملتني على بعير بطيء، فجعل رسول الله يمسح بيديه عينيها، ويسكتها..» [رواه النسائي].

ـ ودخل ﷺ يوم التروية على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فوجدها تبكي، فأهمه ذلك، وسأل عن سبب بكائها، ثم أزاح عنها الغم والهم.

قال جابر في الحديث: «ثم دخل رسول الله ﷺ على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فوجدها تبكي. فقال: «ما شأنك» قالت: شأني أني قد حضت، وقد حل الناس ولم أحلل، ولم أطف بالبيت، والناس يذهبون للحج الآن.

فقال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاغتسلي ثم أهلي بالحج» ففعلت ووقفت المواقف حتى إذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة، ثم قال: «قد حللت من حجك وعمرتك جميعاً» فقالت: يا رسول الله، إني أجد في نفسي أني لم أطف بالبيت حتى حججت، قال: «فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم» [رواه مسلم].

• الحكمة والهدوء:

وكان ﷺ حكيماً في تعامله مع غيرة نسائه: فإن غيرة المرأة على زوجها هي طبيعة من طبائع الأنوثة التي فطرت عليها. وفي بعض الآثار: «إن الله كتب الغيرة على النساء».

فالغيرة جزء من طبيعة المرأة وخلقتها، وكان نساء النبي ﷺ يغرن عليه.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه [أي اضطربت أفعالي وتغيرت أحوالي]، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «ما لك يا عائشة، أغرت؟» فقالت في جواب حكيم في تقرب وتحنان: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أقد جاءك شيطانك؟»، قالت يا رسول الله أومعي شيطان؟ قال: «نعم»، قالت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم»، قالت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم» [رواه مسلم].

وفي قصة أخرى نرى أن الغيرة تدفع أم المؤمنين عائشة إلى أن تمشي وراء النبي ﷺ؛ لترى أين يذهب، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويداً، فجعلت درعي في رأسي، واختمرت، وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت [الإحضار: العدو]، فسبقته،

فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: «ما لك يا عائش حشيا رابية؟»، قلت: لا شي، قال: «أخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير» قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته، قال: «أنت السواد الذي رأيت أمامي؟»، قلت: نعم، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟، فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأجبته، ولم يكن يدخل عليك، وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»، قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» [رواه مسلم].

- يصطحب زوجته في السفر:

العدل مطلب لمن كان معدداً، وهذا حق لكل زوجة، وحتى لا يقع ظلم لإحداهن «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها». [متفق عليه].

- الرفق بها في السفر:

كانت أسفار النبي ﷺ تتراوح بين سفر الجهاد أو العمرة أو الحج، وقد صحبته نساءه في تلك الأسفار، وكان يرفق بهن ولا

يشق عليهن، فليست المرأة مثل الرجل في تحمل الأسفار والمشاق، والتعب والنصب.

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كانت أم سليم في الثقل وأنجشة غلام النبي ﷺ يسوق بهن، فقال النبي: «يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير». أي: مهلاً بالنساء تلطف بسوقك بهن.

ـ وحج النبي ﷺ بنسائه، حتى إذا كان ببعض الطريق نزل رجل فساق بهن ـ يعني النساء ـ فقال رسول الله ﷺ: «كذلك سوقك بالقوارير» يعني بالنساء، فبينما هم يسيرون برك بصفية جملها، وكانت من أحسنهن ظهراً، فبكت، فجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك، فجعل يمسح دموعها، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها، فلما أكثرت زجرها وانتهرها، وأمر الناس فنزلوا، ولم يكن يريد أن ينزل، قالت: فنزلوا، وكان يومي، فلما نزلوا ضرب خباء النبي ﷺ، ودخل فيه، فلم أدر علام أهجم من رسول الله، وخشيت أن يكون في نفسه شيء، فانطلقت إلى عائشة، فقلت لها: تعلمين أني لم أكن أبيع يومي من رسول الله بشيء أبداً، وإني قد وهبت يومي لك على أن ترضي رسول الله ﷺ عني. قالت: نعم. قالت: فأخذت عائشة خماراً لها قد ثردته بزعفران، ورشته بالماء لتزكي ريحه، ثم لبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله ﷺ فرفعت

طرف الخباء، فقال لها: «ما لك يا عائشة، إن هذا ليس يومك؟» قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فَقَالَ مع أهله.

فلما كان عند الرواح، قال لزينب بنت جحش: «افقري - أعيري - أختك صفية جملاً» وكانت من أكثرهن ظهراً، فقالت: أنا أفقر يهوديتك؟! فغضب رسول الله ﷺ حين سمع ذلك منها، فهجرها، فلم يكلمها حتى قدم مكة وأيام منى من سفره حتى رجع إلى المدينة والمحرم وصفر، فلم يأتها ولم يقسم لها، فأيست منه، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها رسول الله ﷺ فرأت ظله، فقالت: إن هذا الظل ظل رجل، وما يدخل عليَّ النبي ﷺ، فمن هذا؟ فدخل عليها رسول الله ﷺ فلما رأته قالت: رسول الله، ما أدري ما أصنع حين دخلت علي. وكانت لها جارية تخبئها من رسول الله ﷺ، فقالت: فلانة لك. [السلسلة الصحيحة].

• **مهلة لاتخاذ القرار:**

بيت النبوة يجري فيه مثل البيوت الأخرى، ومن الحوادث والأمور التي تعرض لها بيت النبوة ما حصل من نسائه من المطالبة بزيادة النفقة: وهذه القصة تبين كيف كان تعامل النبي ﷺ مع المشكلات الاقتصادية التي تنشأ داخل الأسرة المطالبة بزيادة النفقات.

يروي هذه القصة جابر بن عبد الله فيقول: دخل أبو بكر يستأذن على رسـول الله ﷺ، فوجدت الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم.

فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر، فاستأذن، فأذن له.

فوجد النبي جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً.

فقال: لأقولن شيئاً أضحكُ النبي ﷺ.

فقالت يا رسـول الله، لو رأيت بنت خارجة، سـألتني النفقة، فقمت إليها، فوجأت عنقها.

فضحك رسـول الله ﷺ، وقال: «هـن حولي كما ترى يسـألنني النفقة».

فقام أبو بكر إلى عائشـة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده.

فنهاهما رسول الله ﷺ.

فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده.

ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمر أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك».

قالت: وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية.

قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت.

قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً».

ثم خير نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة» [رواه مسلم].

• **يساعدها فيما صعب عليها:**

ها هو ﷺ يساعد زوجته صفية لتركب البعير، قال أنس: «فرأيت النبي ﷺ يُحَوِّي لها وراءه بعباءة - يعني يحيطها ويشملها بها - ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب. [رواه البخاري].

• **يمهلها حتى تتزين له:**

الإنسان يحب أن يراه الناس في أجمل صورة وأحسن حال، والزوجة أشد هؤلاء لزوجها، ولهذا أمر ﷺ بإعطاء المهلة والوقت للزوجة للتزين والتجمل، حتى تكون في أبهى صورة وأجملها.

عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فلما رجعنا ذهبنا لندخل، فقال: «أمهلوا حتى ندخل ليلاً: (أي: عشاء) حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة» [رواه النسائي].

وجاء في الحديث الآخر: «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً» [رواه البخاري].

• يكرم صويحباتها:

ـ إكرام حبيب الحبيب وصاحبه من محبة الحبيب وتقديره. وكان ﷺ يعتني بهذا الجانب، فكان يكرم صويحبات زوجاته.. وهذا ديدن الرسول ﷺ، فقد كان ﷺ إذا ذبح شاة يقول: «أرسلوا بها الى أصدقاء خديجة». [رواه مسلم].

ـ وكان ﷺ يسرّ إذا اجتمعت زوجته بصويحباتها؛ لأن في ذلك أنس وسعة خاطر وفرح لزوجته. قالت عائشة: «كانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن «يتغيبن» من رسول الله ﷺ فكان يُسربهن إلي «يرسلهن اليّ» يلعبن معي». [رواه مسلم].

قال النووي: وهذا من لطفه ﷺ وحسن معاشرته.

ـ وكان يُراعي حالَهنَّ، والسِّنَّ التي كان عليها بعضهن، فعن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كنتُ ألعب بالبنات، فربَّما دخل علي رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي، فإذا رأينَ رسول الله ﷺ

فررنَ، فيقول رسول الله ﷺ: «كما أنتِ وكما أنتنَّ».

وفي الحديث الآخر عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: «كنت ألعب بالبنات على عهد رسول الله ﷺ، قالت: فكن يأتيني صواحبي، فكن إذا رأين رسول الله ﷺ ينقمعن منه، فكان ﷺ يُسربهن إلى يلعبن معي» [رواه ابن حبان].

• **العدل في الأمور:**

لا يخلو الإنسان من نقص وقصور، فهذه طبيعة البشر، والزوج الموفق من ينظر حال الخطأ والزلل أو التقصير إلى المحاسن والإيجابيات لتزيل ما ورد من كدر.

والمسلم ينظر الى محاسن الزوجة إذا رأى منها ما يكدر خاطره ويثير غضبه، لقوله ﷺ: «لايفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر». [رواه مسلم]. وهذا من العدل والإنصاف، وبه يزال ما حصل، وتكون الإيجابية في التعامل.

• **يعرف مشاعرها:**

معرفة مشاعر الطرف الآخر يسهل التعامل معه، ومعرفة ما يحب ويكره أدوم للعشرة وحسن الخلق، عن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «إنى لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عني غضبى ..أما اذا كنت عني

راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت عني غضبى قلت: لا ورب إبراهيم» [رواه مسلم].

• سهلاً مع زوجته:

النبي ﷺ سهلاً سمحاً مع زوجاته، قال جابر بن عبد الله: «... وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً، إذا هويت الشيء - أي عائشة - تابعها عليها..» [رواه مسلم].

• مراعاة حاجاتها:

إنه من النادر جداً أن يجد المرء صورة من صور الحب والرأفة واللطف مثلما يجدها لدى رسول الله ﷺ مع زوجته عائشة لدرجة أن يحبس جيشاً بأكمله ويؤجل رحيله، حتى تجد عائشة عقدها، ثم يعقب ذلك تشريع إلهي وهو التيمم عند عدم وجود الماء، لذلك فقد علق أسيد بن الحضير وهو أحد سادة الأنصار على هذه الواقعة وما تلاها من تشريع، قائلاً: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر» [رواه البخاري].

• لا ينتقصها أثناء المشكلة:

قد يقع ما يكدر الخاطر ويسوء النفس، ولا أشد من ذلك مما وقع على رسول الله ﷺ من حادثة الإفك، ومع تلك الأحداث العظيمة وطول مدتها كان ﷺ رحيماً بزوجته عائشة لم يعذل ولم يشتم أو يقبح.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ تحكى عن حادثة الأفك قالت: «.. إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني، ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليَّ وعندي أمي تمرضني قال: «كيف تِيكُمْ!» لا يزيد على ذلك». [رواه البخاري].

مكثت عائشة ما يزيد على الشهر لم تسمع بما كان يدور حولها وما كانت تلوكه ألسن المنافقين، بل لعل الأمر الأشد غرابة هو أن الرسول ﷺ ظل أكثر من شهر وهو يتقلب على جمرة هذه الشائعة القبيحة الملصقة بأحب أزواجه إليه وهو لا يبدي لها شيئاً من شكوكه أو ما تلوكه الألسن.

• **العدل بين زوجاته:**

جعل الإسلام التعدد مباحاً لمن قدر على العدل، قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣] فاشترط ـ عز وجل ـ العدل في التعدد.

وحذر النبي ﷺ من الميل وعدم العدل، فقال ﷺ: «من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى، جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل» [رواه الترمذي].

ـ ومن صور عدله ﷺ أنه إذا أراد سفراً أقرع بين زوجاته ثلاثاً، فمن أصابته القرعة خرج بهن معه.

قالت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ «كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه...» [رواه مسلم].

ـ وكان من عدله ﷺ أنه إذا تزوج ثيباً أقام عندها ثلاثاً لإيناسها، ثم يقسم لها كسائر نسائه.

روت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ أقام عندها ثلاثاً، وقال لها: «إن ليس بك على أهلك هوان، إذا شئت سبعت لك، ـ أي أقمت عندك سبعاً ـ وإن سبعت لك سبعت لنسائي» قالت «ثلّث» [رواه مسلم].

ـ ومن صورة العدل أنه ﷺ لما مرض لم يسقط القسم بينهن، فكان يدور على نسائه، ولا يمكث عند إحداهن إلا إذا أذن له.

عن عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غداً؟ أين أنا غداً» يريد يوم عائشة، فأذن له أزوجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها..» [رواه البخاري].

ـ ومن صور عدله ﷺ في حياته ومع زوجاته أنه لم يميز إحداهن دون الأخرى في العطية.

روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: أهدي رسول الله ﷺ قلادة من جزع (خرز) ملمعة بالذهب ونساؤه مجتمعات في بيت كلهن، وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، جارية تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ﷺ: كيف ترين هذه؟ فنظرن إليها فقلن: يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب، فقال: «أرددنها إلي» فلما أخذها قال: «والله لأضعنَّها في رقبة أحب أهل البيت إليّ» قالت عائشة: فوضعها في رقبة أمامة».

وما فعله النبي ﷺ من تمام العدل، فإنه لم يعط زوجة دون الأخرى، بل جعلها في رقبة حفيدته أمامة.

• دفع الغيرة:

الزوج بحنكته وفهمه يعالج الغيرة بالأسلوب الأمثل حتى لا يقع بين الزوجات شيء، وهكذا فعل الرسول ﷺ.

قال ابن سعد في الطبقات: وفي السنة السابعة من الهجرة، قدمت مارية القبطية إلى المدينة، وكانت من ضمن الهدايا التي بعث بها المقوقس، صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ فأعجب بها رسول الله ﷺ؛ وكان يختلف إليها، وكانت جميلة، جعدة. واحتلت من قلب رسول الله ﷺ مكاناً، فكانت عائشة تغار منها،

روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: أهدي رسول الله ﷺ قلادة من جزع (خرز) ملمعة بالذهب ونساؤه مجتمعات في بيت كلهن، وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، جارية تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ﷺ: كيف ترين هذه؟ فنظرن إليها فقلن: يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب، فقال: «أرددنها إلي» فلما أخذها قال: «والله لأضعنّها في رقبة أحب أهل البيت إليّ» قالت عائشة: فوضعها في رقبة أمامة».

وما فعله النبي ﷺ من تمام العدل، فإنه لم يعط زوجة دون الأخرى، بل جعلها في رقبة حفيدته أمامة.

• **دفع الغيرة:**

الزوج بحنكته وفهمه يعالج الغيرة بالأسلوب الأمثل حتى لا يقع بين الزوجات شيء، وهكذا فعل الرسول ﷺ.

قال ابن سعد في الطبقات: وفي السنة السابعة من الهجرة، قدمت مارية القبطية إلى المدينة، وكانت من ضمن الهدايا التي بعث بها المقوقس، صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ فأعجب بها رسول الله ﷺ؛ وكان يختلف إليها، وكانت جميلة، جعدة. واحتلت من قلب رسول الله ﷺ مكاناً، فكانت عائشة تغار منها،

• **الحديث معها:**

للزوجة حق الحديث والتبسط فيه، ومؤانسة الزوجة، وهذا مما يجلب المحبة والمودة، قال ابن عباس: «بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد. .» [رواه البخاري].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان إذا صلى، فإن كنت مستيقظة حدثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة» [رواه البخاري].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن» [رواه البخاري].

قال في عمدة القاري: «فيدنو من إحداهن» المراد به التقبيل والمباشرة من غير جماع.

وقال ابن حجر: الذي كان يقع في أول النهار سلام ودعاء محض، والذي في آخره معه جلوس واستئناس، ومحادثة.

• **معالجة الأمور بحكمة:**

لا تخلو البيوت من بعض المنغصات، فهي كالملح في الطعام، لكنها تعالج بحكمة وروية حتى لا تكبر وتستمر. . ومن ذلك ما يقع من غيرة الزوجات من بعضهن البعض، فالمرأة شديدة الغيرة؛

حيث فطرها الله على الغيرة وخاصة من ضرتها، يبين ذلك ما أخرجه البخاري عن أنس قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «**غارت أمكم..**». وقد أرشد النبي ﷺ بفعله وقوله إلى أهمية مراعاة ما طبعت عليه المرأة من الغيرة.

وقالوا: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة.

وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعاً: «**إنَّ الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه**».

- ومما يدل أيضًا على غيرتهن ما جاء عن عائشة، قالت: «افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست ثم رجعت، فإذا هو راكع أو ساجد، يقول: «**سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت**»، فقلت: بأبي وأمي، إنك لفي شأن وإني لفي آخر» [رواه مسلم].

ـ وسأل رسولُ الله ﷺ عائشة يومًا: «أغرت؟» فتعجبت وقالت: «وما لي، ألاّ يغارَ مثلي على مثلك» [رواه مسلم].

ووالله ما أحسن السؤال تلطفاً واستخراجاً لمكنون القلب، وما أجمل الجواب وأرقه وأكمله!

ـ وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ لها، قالت: «وتزوجني بعدها بثلاث سنين».

وخرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وكان معه بعض أزواجه قالت عائشة: إن جملها في تلك السفرة كان نشيطاً، وكان متاعه خفيفاً بينما كان جمل صفية بنت حيي هزيلاً بطيئاً ومتاعها ثقيلاً، مما جعله يبطئ بالركب؛ فأمر الرسول ﷺ بتحويل متاع صفية على جمل عائشة وتحويل متاع عائشة على جمل صفية. قالت عائشة: «فلما رأيت ذلك، قلت: يا لعباد الله غلبتنا هذه اليهودية، على رسول الله ﷺ». جاء الرسول ﷺ يترضى عائشة. ويقول: «يا أم عبد الله! إن متاعك فيه خف، وكان متاع صفية فيه ثقل...». ويظهر أن عائشة ما ذكره لها رسول الله، لذلك فإنها في سورة غضبها، خاطبت الرسول ﷺ، قائلة: «ألست تزعم أنك رسول الله؟».

فتبسم رسول الله ﷺ، فقال: «أوفي شك أنت يا أم عبد الله؟» فأجابت عائشة قائلة: ألست تزعم أنك رسول الله؟ فهلا عدلت»؟! يظهر أن رسول الله ﷺ لم يجب عن تساؤلها في المرة الثانية، ولكن والدها سمع مقالتها لرسول الله ﷺ فأقبل عليهم فلطم وجهها. قالت عائشة: فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا أبا بكر». فقال أبو بكر: «أما سمعت ما قالت؟ فقال رسول الله ﷺ ملتمساً العذر لعائشة: «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه».

• **يتفقد زوجته في كل حين:**

من أثمن ما لدى الإنسان أسرته وبيته، فكيف إذا كان مُسلماً يتعبد الله ـ عز وجل ـ بالمحافظة على زوجه وأهله، فلا يتركهم وقتاً طويلاً، فربما طرأ لهم أمر أو أصابتهم حاجة، بل هم يشتاقون إليه ويحنون لمجيئه، ولهذا كان النبي ﷺ يتفقد زوجاته ويسلم عليهن.

ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار». [رواه البخاري].

ـ وقد جاء في الحديث: أن النبي ﷺ إذا صلى الصبح جلس في مصلاه وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس، ثم دخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهن ويدعوا لهن، فإذا كان يوم إحداهن جلس عندها». [رواه الطبراني].

تصف عطف رسول الله ﷺ، عليها ورقته في معاملتها: «ما رأيت أحداً قط أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ لقد رأيته راكباً بي من خيبر ليلاً، فجعلت أنعس، فيضرب رأسي مؤخرة الرحل، فيمسني بيده، «يا هذه مهلاً يا ابنة حيي». حتى إذا جاء الصهباء، قال: «أما إني اعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي: كذا، وقالوا لي: كذا».

• **السؤال عن الأمر:**

لما فتح الله ـ عز وجل ـ لنبيه حصون خيبر، وقفل راجعاً معه زوجته صفية بنت حيي ـ رضي الله عنها ـ جرى أمر ذكره الواقدي: أن رسو ل الله ﷺ لم يخرج من خيبر، حتى طهرت صفية من حيضها، فخرج من خيبر ولم يعرس بها ـ أي لم يدخل بها ـ، ولما قُربٌ البعير لرسول الله ﷺ، وضع رجله لصفية، لتضع قدمها على فخذه، لمساعدتها على امتطاء البعير، فوضعت ركبتها على فخذه، احتراماً منها لرسول الله ﷺ، وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها، وجعلها بمنزلة نسائه.

ولما شاهد الناس فعل رسول الله ﷺ وستره لصفية وإردافها خلفه، عرفوا أنه قد تزوجها، وكانوا قبل ذلك يتساءلون فيما بينهم، هل تزوجها أم تسرى بها؟. وفي مسير رسول الله ﷺ من

تصف عطف رسول الله ﷺ، عليها ورقته في معاملتها: «ما رأيت أحداً قط أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ لقد رأيته راكباً بي من خيبر ليلاً، فجعلت أنعس، فيضرب رأسي مؤخرة الرحل، فيمسني بيده، «يا هذه مهلاً يا ابنة حيي». حتى إذا جاء الصهباء، قال: «أما إني اعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي: كذا، وقالوا لي: كذا».

• السؤال عن الأمر:

لما فتح الله - عز وجل - لنبيه حصون خيبر، وقفل راجعاً معه زوجته صفية بنت حيي - رضي الله عنها - جرى أمر ذكره الواقدي: أن رسو ل الله ﷺ لم يخرج من خيبر، حتى طهرت صفية من حيضها، فخرج من خيبر ولم يعرس بها - أي لم يدخل بها -، ولما قُرِّبَ البعير لرسول الله ﷺ، وضع رجله لصفية، لتضع قدمها على فخذه، لمساعدتها على امتطاء البعير، فوضعت ركبتها على فخذه، احتراماً منها لرسول الله ﷺ، وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها، وجعلها بمنزلة نسائه.

ولما شاهد الناس فعل رسول الله ﷺ وستره لصفية وإردافها خلفه، عرفوا أنه قد تزوجها، وكانوا قبل ذلك يتساءلون فيما بينهم، هل تزوجها أم تسرى بها؟. وفي مسير رسول الله ﷺ من

خيبر إلى المدينة، وعلى بعد ستة أميال من خيبر رغب رسول الله ﷺ أن يخلو بصفية، فأبت عليه، فوجد في نفسه عليها، فلما كان بالصهباء عرسها بها، وقد سألها رسول الله ﷺ عن امتناعها عليه؟ فقالت: خشيت قرب يهود» فزاد ذلك عند رسول الله ﷺ.

• **العبادة في البيوت:**

الزوج هو القدوة لزوجته ولأبنائه، ولهذا أمر ﷺ بإداء النوافل في البيوت حتى يتعود أهل البيت عليها، ويشع النور فيها، قال ﷺ: «**واجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً**» [رواه البخاري].

وفي الحديث عن ابن عباس أنه قال: «بت عن خالتي ميمونة، فقام النبي ﷺ يصلي، فقمت أصلي. . .» [رواه ابن حبان].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتهما، قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح» [رواه البخاري].

وفي الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزه، وأحيا ليله، وأيقظ أهله» [رواه البخاري].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فإذا أوتر قال: «**قومي فأوتري يا عائشة**» [رواه البخاري].

• المحافظة على الوقت:

سُئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، فسكتت، ثم قالت: «لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض..» الحديث [رواه ابن حبان].

• احترام الجار:

حض النبي ﷺ على احترام الجوار ورعاية حق الجار، وأنه لعظيم حقه ومنزلته كاد أن يكون من الورثة.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [رواه أبو داود].

وكان يحتمل من جيرانه ما يأتي منهم.

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: بينما أنا مع رسول الله ﷺ في لحف، إذ دخلت شاة لجار لنا، فأخذت قرصة لنا. [القرصة: من الخبز].

فقمت إليها، فأخذته من بين لحييها.

قال رســول الله ﷺ: «ما كان ينبغي لك أن تعنفيها، إنه لا قليل من أذى الجار» [رواه الطبراني].

• **حفظ ودها:**

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: ما غرت على أحد من نساء النبــي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجــة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: «أنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد» [رواه البخاري].

ـ والنبــي ﷺ يذكر ذلك ويثني على زوجته خديجة، فهو يقول لعائشة ليريها منزلة خديجة ومكانتها: «ما أبدلني الله خيراً منها، كانت أمّ العيــال، وربّة البيت، آمنت بي حين كذّبني النّاس، وواســتني بمالها حين حرمني الناس، ورُزقتُ منها الولد، وحُرِمتُ من غيرها».

ـ ويتحدّث عنها مرّة أخرى فيقول: «إنّي لاحبُّ حبيبها».

ـ روى مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما غرت على نســاء النبي ﷺ إلا على خديجــة، وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟ فقال: «إني رزقت حبها».

ـ روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»، ويشرها ﷺ ببيت في الجنة حال حياتها، وأبلغها سلام الله ـ جل وعلا ـ وسلام جبريل ـ عليه السلام ـ.

فهذا الوفاء على مر السنين لم تعهد مثله من بشر لزوجة من زوجاته تقادم بها الزمن وتزوج بعدها العديد من النساء، لكنه نبي الوفاء الذي كمل في كل شأنه «وحسن العهد من الإيمان» كما قال ﷺ.

• التحذير من افساد الزوجة:

رباط الزوجية رباط وثيق، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝﴾ [النساء: ٢١] ولهذا حذر ﷺ من إفساد الرجل على امرأته، أو المرأة على زوجها.

في الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ: «من خبب زوجة امرئ، أو مملوكه فليس منا» [رواه أبو داود].

وجاء اللعن في الحديث الآخر: «ملعون من خبب امرأة على زوجها» [رواه أبو داود].

بل أن هذا الفعل من كبائر الذنوب، وفيه الطرد والابعاد من رحمة الله: «لعن الله من خبب امرأة على زوجها، لعن الله من خبب زوجاً على زوجته» [رواه الحاكم].

• **نهاية المطاف:**

يحرص النبي ﷺ على عدم استمرار الخلاف وطوله، بل ويسارع إلى أن ينتهي في حينه، ولهذا حث الزوجة على المبادرة والأخذ بزمامها لإنهاء ما يكدر النفس ويكبر الأمور.

قال عليه الصلاة والسلام: «..ونساءكم من أهل الجنة الودود، الولود، العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها، وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى» [السلسلة الصحيحة].

• **فراقها وطلاقها:**

قد يقع الطلاق ويكون خيراً للطرفين لتعثر العشرة، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠] وقد طلق الرسول ﷺ امرأتان، بعد أن عقد عليهن ولم يبن بهما، وقد أفسدتهن النساء: فواحدة من بني كلاب، وأخرى من كندة، وهي المعروفة بالجونية. وقد قلن النساء لها: إذا دنا منك فتمنعي، فتمنعت فطلقها.

روى البخاري من حديث أبي أسيد الساعدي قال: خرجنا مع النبي ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشَّوط حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما، فقال النبي ﷺ: «أجلسوا هاهنا»، ودخل، وقد أتى الجونية، فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل، ومعها دايتها ـ حاضنة لها ـ فلما دخل عليها

النبي ﷺ قال: «هبي نفسك لي» قالت: وهل تهب المَلكةُ نفسها للسوقة (ولم تعرف أنه رسول الله) قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت أعوذ بالله منك، فقال: «قد عذت بمعاذ».

فقال: «يا أبا أسيد أكسها رازقيَّين، والحقها بأهلها» [رواه البخاري].

فاكرمها رسول الله ﷺ ومتعها متاعاً حسناً والحقها بأهلها، وكل ذلك رغبة منه ﷺ في أنها لا تناسبه ولا تصلح له، فلم يعذب، ولم يهن، بل إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

أما الأخرى من بني كلاب، فقد قالت عندما توفي إبراهيم ابن الرسول ﷺ: لو كان نبياً ما مات ابنه، فطلقها.

ومثل هذه لا تليق بنبي الأمة ﷺ، وهي لا ترى نبوته ولا تؤمن برسالته.

• **الوفاء:**

رغم الغيرة التي تقع بين زوجات النبي ﷺ إلا أنك تجد العفو والمسامحة وصدق القول، وحسن الأدب مع بعضهن.

بعد وفاة زينب، رثتها اثنتان من أزواج النبي ﷺ، وهي اللائي كانت تنافسهن في المنزلة لدى رسول الله ﷺ.

فقالت عنها عائشة: «ذهبت حميدة، فقيدة مفزع اليتامى والأرامل» وأضافت قائلة: «كانت زينب هي التي تساميني من أزواج النبي

ﷺ، فعصمها الله ـ تعالى ـ بالورع، ولم أر امرأة أكثر خيراً، وأكبر صدقة، وأوصل للرحم، وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله من زينب...».

وسُئلت عائشة، أي نساء رسول الله ﷺ كانت آثر عنده؟ فقالت «ما كنت استكثره، ولقد كانت زينب بنت جحش، وأم سلمه، لهما عنده مكان، وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدي».

وقد أثنت أم سلمة على زينب وذكرتها بخير، وقالت عنها: «وكانت لرسول الله ﷺ معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت امرأة صالحة صوامة، قوامه، صنعاً، تتصدق بذلك كله على المساكين».

وقد ذكر ابن سعد، موقفاً جرى بين أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ، قالت عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ: «دعتني أم حبيبة عند وفاتها، فقالت: قد كان يكون بيننا وبين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك.

فقلت: غفر الله لك ذلك كله، وتجاوز وحلك من ذلك. فقالت: سررتني سرك الله وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك».

وقالت عائشة أم المؤمنين عند إشارتها إلى ميمونة بعد وفاتها: «أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم».

ـ ولأمهات المؤمنين في سـلامة الصدر وصفـاء النفس مواقف عدة، هذه صفية ـ رضي الله عنها ـ أتت جارية لها عمر بن الخطاب في خلافته، وقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود. فبعث إليها عمر، فسـألها؟ فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله بـه يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي بهم رحماً وأنا أصلها. ثم قالت للجارية ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: فاذهبي، فأنت حرة.

هـذا صنيع أم المؤمنين صفية ـ رضي الله عنها ـ، فهي لم تعنف جاريتها، ولم تعاقبها، ولم تبعها، لتتشفى منها، بل أعتقتها لوجه الله!

وكانت لصفية ـ رضي الله عنها ـ دار تصدقت بها في حياتها.

حقوق البنت

بُعث رسول الله ﷺ إلى قوم يعدون إنجاب نسائهم للبنات مصيبة عظيمة، وبلية جسيمة، حتى كانوا يعزون من رُزق بنتاً، فيقولون: آمنكم الله في عاركم، وكفاكم مؤنتها، وصاهرتم القبر.

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ واقعهم بقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩].

ووصل بهم الحال إلى قتلهن خوف العار ـ زعموا ـ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وقد نعى عليهم رسول الله ﷺ فعلهم هذا وأنكره، وبين سفه عقولهم، في أحاديث كثيرة.

وعندما جاء الإسلام أكرم البنت وقدمها الله ـ عز وجل ـ في معرض منته على الإنسان بنعمة الذرية، فقدم الإناث على الذكور

في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩ ـ ٥٠].

ـ قال إسحاق بن بشر: نزلت هذه الآية في الأنبياء ثم عمت؛ فلوط ـ عليه السلام ـ أبو البنات لم يولد له ذكر، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ ضده، ومحمد ﷺ وُلد له الصنفان، ويحيى بن زكريا ـ عليه السلام ـ عقيم.

ـ وقال عبد الله السعدي: أن الله يحب البنات، وكان لوط ﷺ ذا بنات، وكان شعيب ﷺ ذا بنات، وكان النبي ﷺ ذا بنات. [رواه ابن أبي الدنيا].

ـ قال ابن الأنباري: سميت الجارية جارية لأنها أسرع جرياً في قلوب الآباء من الأبناء، لرقتهم عليهن.

ـ وقال بعض السلف: من بركة الزوجة على زوجها أن يرزق بأول مولود منها أنثى، هدية لمن أكرمه الله ـ تعالى ـ وأنعم عليه بأنثى تكون أول ذريته.

ـ وهكذا بعد نبوة محمد ﷺ كان للبنت شأن ومنزلة، واحتفى الإسلام بها كثيراً، فبعد أن كانت توأد وتهان، أضحت فاتحة خير وبركة لأهلها. وقد رحب أحد العقلاء بابنته، فقال: أهلاً

وسهلاً بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

ـ وقد بشر ﷺ من أكرم ابنته، ولم يبخسها حقها بفوز عظيم، وأجر جزيل، فقال: «من كانت له أنثى، فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده ـ الذكر ـ عليها، أدخله الله ـ تعالى ـ الجنة» [رواه أبو داود].

ـ وأوصى ﷺ بالبنات وتربيتهن تربية صالحة، وبشر بمضاعفة الثواب في تربيتهن؛ فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته، فقال: «من ابتلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار» [صحيح الجامع].

قال النووي: إنما سماه ابتلاءً؛ لأن الناس يكرهون البنات، فجاء الشرع بزجرهم عن ذلك، ورغب في إبقائهن، وترك قتلهن بما ذكر من الثواب الموعود به من أحسن إليهن، وجاهد نفسه في الصبر عليهن.

ـ وقد بيّن رسول الله ﷺ حقوق البنت بياناً شافياً ـ قولاً وفعلاً ـ، وحث على أدائها، وجعل حقوق البنت ملزمة للأب، بل ولجماعة المسلمين حتى قبل خلقها.

* وقد كفل الإسلام للبنت حقوقاً كثيرة، من أبرزها:

ـ حسن اختيار أمها، لأنّ نشأة البنت، وتعليمها، وتربيتها معتمد علـى والدتها، فإذا كانت الوالدة صالحة فـإن ذلك مَحْضناً صالحاً للبنـت ودلاله خير وصلاح، وفي هذا بيان أن الحرص على الذرية الطيبة يكون قبل وجودها.

لذلك حث رسـول الله ﷺ على اختيار الزوجة الصالحة، فقال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري].

ومن حقوق البنت:

طلبها؛ أي اتخاذ الوسائل المشروعة لإنجابها بالزواج الشرعي الذي أذن الله تعالـى به، وعدم إيقاف النسـل أو تحديده بعدد، قال الله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قـال ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ هو الولد.

ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسـول الله ﷺ يأمر بالباءة (الزواج)، وينهى عن التبتل نهياً شـديداً، ويقول: «تزوجوا الودود الولود، فإنّي مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة» [رواه أبو داود].

ـ وقال ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج» [رواه البخاري].

ومن حقوق البنت:

الدعاء لها بالصلاح، وتعويذها من الشيطان، حتى قبل وجودها.

قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً» [رواه البخاري].

ومن حقوق البنت:

حفظها، والاعتناء بها بعد ولادتها، حيث شرع رسول الله ﷺ التأذين في أذنها بعد ولادتها، وتحنيكها قبل أن تطعم شيئاً، أو بعده بقليل، وذبح شاة عنها، إظهاراً للفرح بمقدمها، قال رسول الله ﷺ: «...عن الجارية شاة» [رواه النسائي].

ومن حقوق البنت:

إرضاعها، وهو حق من حقوقها على أبيها، يجب عليه أن يبذل ماله من أجله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومن حقوق البنت:

النفقــة عليها، من حين اســتقرارها نطفة في رحم أمها، إلى أن تكبر وتتزوج، قــال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]، وقــال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

ـ ومــن نعم الله ـ عــز وجل ـ أن النفقة عليها عبـادة، كما قال رســول الله ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**» [رواه مسلم].

ـ وفي الحديــث الآخر، قــال ﷺ: «**أفضل دينــار ينفقه الرجل دينار على عياله**» [رواه مسلم].

ومن حقوق البنت:

الحرص على تعليمها التوحيد وترســيخه في نفسها، في الحديث عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً جاء النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، علي نسمة مؤمنة أن أعتقها، وإن هذه الجارية أعجمية، فيجــوز لي أن أعتقها؟ قال: «ائتنــي بها» فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟» قالت في الســماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله،

فقال رسول الله ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة» [رواه ابن خزيمة].

- وكان هذا ديدن النبي ﷺ في نشر التوحيد، وهذا أصل رسالته التي بعث بها: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

- وفي الحديث عن ابن عباس أنه قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ قال: «يا غلام: أني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك (رفعت الأقلام وجفت الصحف)» [رواه الترمذي].

ومن حقوق البنت:

تعليمها عبادة ربها، التي خلقت من أجلها، وهذه أهم المهمات، وأعلى الحسنات. وفي ذلك امتثال لامر الله - عز وجل - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

- وقال رسول الله ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» [رواه الترمذي].

ـ وفي الصيام عقل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عن رسول الله ﷺ أمره بتصويم الصغار، فكانوا يصومونهم، حتى قالت الربيع بنت معوذ ـ رضي الله عنها ـ: كنا نصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها، حتى يتموا صومهم.

ـ وعن أبي قتادة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت النبي ﷺ يؤم الناس، وأمامة بنت أبي العاص ـ وهي ابنة زينب بنت النبي ﷺ ـ على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها.

ومن حقوق البنت:

الحرص على تعليمها وتأديبها، وكان ﷺ حريصاً على تعليم البنت آداب الإسلام، وإن لم تكن تعقلها، حتى تتربى على هذه الآداب، فتكون جزءً من حياتها، فعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاماً، فجاءت جارية كأنها تُدْفَع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء

بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده. والذي نفسي بيده، إن يده في يدي مع يدها» ثم ذكر اسم الله وأكل.

ـ وعن عمر بن أبي سلمة أنه قال: «كنت في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك» [رواه مسلم].

* ومن حقوق البنت:

تعليمها القرآن فقد كان ﷺ حريصاً على تعليم البنت القرآن الكريم، لعلمه ﷺ أن القلب الذي يحمل هذا الكتاب العظيم قلب مهتد، لا يضل بإذن الله، وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لرجل: «اقرأ تبارك الذي بيده الملك، وعلمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية والمجادلة، تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار»، وقال ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي» [رواه الطبراني].

ومن حقوق البنت:

حسن تربيتها، والعناية بذلك عناية شديدة، والسهر، وبذل الجهد، والإنفاق من أجل تحقيق هذه المهمة العظيمة التي أنيطت بالآباء والأمهات، وهي مسؤلية وأمانة يسألون عنها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسؤولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [رواه مسلم].

ـ وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه» [رواه الترمذي].

ـ وقال ﷺ: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة» [رواه البخاري].

ومن حقوق البنت:

العدل في معاملتها مع إخوتها، وحرمة تفضيل الذكور على الإناث، قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١].

وقال ﷺ: «اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم» [السلسلة الصحيحة].

ـ وقال ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها؛ أدخله الله الجنة». [أخرجه أبوداود].

ـ وفي قصة النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ خير عبرة وعظة، عندما أراد أن يهب لأحد أبنائه جزءً من ماله دون بقيه إخوته، فأراد أن يشهد النبي ﷺ على ذلك، فقال له ﷺ: «ألك ولد غيره؟» فقال النعمان: نعم، فقال النبي ﷺ: «هل آتيت كل واحد مثل الذي آتيت هذا؟» قال النعمان: لا، فقال رسول الله ﷺ له: «فإني لا أشهد على هذا، هذا جور، اعدلوا بين أولادكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف» [رواه البيهقي].

ـ وقال ﷺ: «سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء» [رواه الهيثمي في مجمع الزوائد].

ـ وحتى في أدنى الأمور المعتادة التي يراها الناس أمراً هيناً، كان ﷺ لا يرضى إلا بالعدل في كل موقف؛ في الحديث: بينا رسول الله ﷺ يحدثُ أصحابه، إذ جاء صبي، حتى انتهى إلى أبيه ـ في ناحية القوم ـ فمسح رأسه، وأقعده على فخذه اليمنى، فلبث قليلاً، فجاءت ابنة له، حتى انتهت إليه، فمسح رأسها، وأقعدها على الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «فَهَلاً على فخذك الأخرى، ألا سويت بينهما ؟» فحملها الرجل على فخذه الأخرى. فقال ﷺ: «الآن عدلت».

ومن حقوق البنت:

الدعــاء لها، فإن الدعاء أمره عظيم، وهو من أعظم العبادات، ومن أهم وسائل إصلاح الذرية، بل هو أهمها مع بذل الأسباب.

والأب يحــرص على الدعاء للذريــة بالهداية والصلاح، وهذه عادة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ومن حقوق البنت:

تعويذها من الشيطان، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين، يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل ـ عليهم السلام ـ» [رواه البخاري].

ومن حقوق البنت:

حسن تربيتها، والقيام بها، مع الأجر العظيم لذلك، ويرتفع الجزاء في حديث آخر ليبلغ بالمحسن إليهن أعلى مقامات ودرجات الجنة مع النبيين، قال ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه [رواه مسلم].

ـ وقال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن، وكساهن من جِدَتِه، كنَّ له حجاباً من النار» [رواه ابن ماجه].

ـ وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الله كره لكم ثلاثاً: عقوق الأمهات ووأد البنات، ومنع وهات» [رواه الطبراني].

ومن حقوق البنت:

الترغيب والحث على الفرح بهن والثناء عليهن وذكر مآثرهن في الإسلام، ليبطل شرعة الجاهلية في انتقاص المؤنسات الغاليات اللاتي يُرغِّب النبي ﷺ بمحبتهن، فيقول: «لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات». [رواه أحمد].

ومن حقوق البنت:

التلطف معها ومؤانستها وتقبيلها، في الحديث أن النبي ﷺ قبَّل الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه

رسول الله ﷺ فقال: «من لا يرحم لا يُرحم» [رواه البخاري].

ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أوأملك أن نزع الله من قلبك الرحمة» [رواه البخاري].

وكان ﷺ إذا جاءت ابنته فاطمة قام إليها وقبلها، وأجلسها في مجلسه.

ومن حقوق البنت:

حقها في الملاطفة، فإن البنت فيها حاجة إلى الحنان والعطف واللطف، ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في ذلك، مما كان يصنعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، حتى قالت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «إنّ هذا كان شأنُ رسول الله ﷺ مع أبناء المسلمين».

ـ وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: «سنه، سنه» (وهي بالحبشية: حسنة) قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، قال رسول الله ﷺ: «دعها» ثم قال رسول الله ﷺ: «أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي» قال عبد الله: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها [رواه البخاري].

ـ وفي هذا الحديث: ملاطفة رسول الله ﷺ للأطفال، بل وتفننه ﷺ في ذلك، حتى أنه حدثها بلسان الحبشة الذي تعرفه، لكونها كانت هناك، وتركها تلعب بخاتم النبوة، لتروي ما في نفسها من فضول، ونهيه ﷺ والدها عن تعنيفها، ودعاؤه لها بطول العمر، ويلبس الجديد من الثياب، مراعياً حب الصغير للجديد من الثياب، هذا مع هيبته العظيمة في قلوب الناس ﷺ.

ـ وكان رسول الله ﷺ يداعب بنت أم المؤمنين أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ، فيقول لها ملاطفاً: «يا زناب».

ومن حقوق البنت:

حق التوارث؛ حيث جعل الله قسمة الميراث بنص كتابه دفعاً للفرقة والاختلاف، ونصت على جنس الرجل وجنس النساء في الآية، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝﴾ [النساء: ٧].

وقررت الشريعة أن المرأة ترث أباها وأخاها، وابنها وزوجها حسب ما قررته الشريعة.

ـ والميراث بين الرجل والمرأة في الإسلام لا يقوم على الجنس، فالإسلام ساوى في بعض الحالات بينهما كما في الإرث بين الأخت

والأخ لأم في حالة الكلالـة، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾ [النساء: ١٢].

ـ وفي الشـريعة نجد أن هناك أربعاً وعشرين حالة ترث فيها المرأة أكثر من الرجل، وهناك حالات تساوى الرجل في الميراث، وفي حالات يزيد فيهما نصيب الرجل في الميراث.

ومن حقوق البنت:

حق المال الخاص بها: سواء من عمل أو مهر، أو هبة أو ورث، أو غير ذلك.

وللمرأة ـ عموماً ـ في الإسـلام ذمة مالية كاملة، لا تنقص شيئاً عن ذمة الرجل المالية.

النبي ﷺ مع بناته

رُزق نبينا محمد ﷺ أبناء، وهم: القاسم ـ وبه كان يكنى ـ ولد قبل النبوة، وهو أكبر ولده، عاش أياماً يسيرة ثم توفي.

وولدان آخران اختلف في اسمهما. وعبدالله والطيب والطاهر.

وأما إبراهيم فولد له بالمدينة وعاش عامين غير شهرين، ومات قبل موته ـ عليه الصلاة السلام ـ بثلاثة أشهر يوم كسوف.

بناته:

ورزق ﷺ أربع بنات، كلهن من خديجة ـ رضي الله عنها ـ، وهن:

زينب: تزوجها أبو العاص بن الربيع، وخالته خديجة ـ رضي الله عنها ـ، ومات أبو العاص في خلافة عمر، وولدت له علياً مات فتى. وولدت له أمامة تزوجها علي ـ رضي الله عنه ـ بعد فاطمة ولم تلد له، ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فماتت عنده، ولم تلد له، وماتت زينب في حياة أبيها ﷺ.

رقية: تزوجها عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ولم يكن لها زوج غيره، فولدت له ابناً مات وله أربع سنين، ثم ماتت رقية بعد بدر بنحو ثلاثة أيام.

فاطمة: تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت الحسن والحسين، وزينب وأم كلثوم، وابناً مات صغيراً اسمه المحسن، فتزوج زينب عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب، فولدت له علي ابن عبدالله له عقب، وتزوج أم كلثوم عمر ابن الخطاب، وماتت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر.

أم كلثوم: وروي أنها أصغر بناته ﷺ، كانت مملكة بعتبة بن أبي لهب فلم يدخل بها وطلقها، فتزوجها عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بعد وفاة أختها رقية، فماتت عنده في حياة رسول الله ﷺ ولم تلد له.

وقد كان ﷺ حفياً وفياً، كريماً سمحاً مع بناته، ومن مظاهر تكريمه لهن ما يلي:

❁ من مظاهر تكريمه:

اختيار الأم الصالحة، ذات العقل الراجح والنسب العال، وخير مثال لذلك أمهات المؤمنين عموماً، فقد جمعن بين الدين والعقل والنسب والشرف ومنهم خديجة ـ رضي الله عنها ـ.

❁ من مظاهر تكريمه لهن:

اختيار الأسماء الحسنة الجميلة: وقد كان ﷺ يحث على اختيار الأسماء الحسنة، ويغير الأسماء القبيحة.

وأسماء أبناء وبناته ﷺ أسماء جميلة، لها معان طيبة كريمة.

❁ من مظاهر تكريمه:

المشاورة: وكان النبي ﷺ يشاور بناته في زواجهن؛ وقد قال ﷺ: «لا تنكح البكر حتى تستأذن» قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت» [رواه البخاري].

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: لما خطب علي فاطمة ـ رضي الله عنها ـ، أتاها رسول الله ﷺ، فقال: «إن علياً قد ذكرك». فسكتت، فخرج فزوجها.

❁ من مظاهر تكريمه:

أنه كان ﷺ رفيقاً ببناته، محباً ومؤانساً لهن. يرحمهن ويدخل السرور على قلوبهن، ويسعى لإسعادهن، ومن ذلك أنه زوجهن جميعاً الرجال الأكفاء والأخيار الأوفياء، ولم يغال في مهورهن.

ـ يقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته، فقلت: ما لي من شيء فكيف؟ ثم ذكرت صلته وعائدته، فخطبتها إليه، فقال: «هل لك من شيء» قلت:

لا ، قال: «فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا» قال: هي عندي، قال: «فأعطها إياه» [رواه أبو داود].

❁ ومن مظاهر تكريمه:

الدعاء لهن بالتوفيق والحياة الطيبة، لما كان ليلة البناء بفاطمة، قال ﷺ لعلي بن أبي طالب: «لا تحدث شيئاً حتى تلقاني» فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ فيه، ثم أفرغه على علي، فقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك لهم في بنائهما» [رواه الطبراني].

❁ ومن مظاهر تكريمه:

أن للمرأة كابنة مكانة ومنزلة في قلب النبي ﷺ، ومن ذلك موقفه مع ابنته فاطمة التي إذا رآها، قام لها مرحباً وبسط الرداء لها، أو أجلسها إلى جانبه.

ـ تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحب بها، فقال: «مرحباً يا بنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله» [رواه البخاري].

❁ من مظاهر تكريمه:

إدخال السرور على ابنته، وبيان منزلتها في قلبه، ومن ذلك قوله لابنته فاطمة: «يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة» [رواه مسلم].

* ومن مظاهر تكريمه:

ذكر ابنته فاطمة بالذكر الحسن والثناء الجميل، وبيان مكانتها لديه ومحبتــه لها، فقد قال ﷺ: «فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها» [رواه الترمذي].

ـ وفــي مقام آخر يقول النبي ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» [رواه البخاري].

* ومن مظاهر تكريمه:

إشــعارها بمنزلتها ومكانتها، وذكر ذلك لها. سُئل ﷺ مرّة : يا رســول الله أيّ أهلك أحبّ إليك؟ قال: «فاطمة بنت محمّد...» [رواه الترمذي].

* ومن مظاهر تكريمه:

عنايتــه بابنته ودلالتها على الخير، وما يعــين على أعباء المنزل. ومشقة العمل، عن علي بن أبي طالب أن فاطمة ـ رضي الله عنهما ـ أتت النبي ﷺ تشــكوا إليه ما تلقــى في يدها من الرحى وبلغها أنه جاء رقيق (أي خدم) فلم تصادفه. .فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة، قال علي ـ رضي الله عنه ـ «فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنــا، فذهبنا نقوم، قال: «على مكانكمــا» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت بــرد قدميه على بطني، فقال: «ألا أدلكما على

خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين، وأحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» [رواه البخاري].

❁ ومن مظاهر تكريمه:

حفظ ود زوجها: لما كانت غزوة بدر وقع أبو العاص بن الربيع في الأسر، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم؛ بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة، أدخلتها بها على أبي العاص.

فلما رآها رسول الله ﷺ؛ رق لها رقة شديدة.

وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها» فقالوا: نعم.

وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، ورجلاً من الأنصار، فقال: «كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحباها حتى تأتيا بها» [رواه أبو داود].

وكان النبي ﷺ يحفظ لأبي العاص بن الربيع خصاله الحميدة.

فقد قال ﷺ عنه: «حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي» [رواه البخاري].

* ومن مظاهر تكريمه:

إعانة ابنته ومساعدتها: فإنه لما تزوج علي فاطمة - رضي الله عنهما -، بعث معها ما يسر، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أن رسول رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة، بعث معها بخميلة، ووسادة من أدم [أي جلد] حشوها ليف، ورحيين، وسقاء، وجرتين» [رواه أحمد].

* ومن مظاهر تكريمه:

حل ما يقع بين ابنته وبين زوجها بالحسنى واللطف والحكمة، وعدم التدخل في كل أمر، فهذا علي - رضي الله عنه - يغاضب زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ويخرج من البيت بعد مغاضبته لها ويذهب إلى المسجد ينام فيه. فيأتي ﷺ وهو الأب الحنون وينهي الأمر.

أخرج البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: إن كان أحب أسماء علي - رضي الله عنه - إليه لأبو تراب، وإن كان ليفرح أن يدعى بها، وما سماه أبا تراب إلا النبي ﷺ، غاضب يوماً فاطمة فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد، فجاءه النبي ﷺ يتبعه فقال: هو ذا مضطجع في الجدار، فجاءه النبي ﷺ وامتلأ ظهره تراباً، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب

عن ظهره ويقول: «اجلس يا أبا تراب».

❁ ومن مظاهرة تكريمه:

تقريب الزوج إلى زوجته وتحبيبها فيه، لما جرى خلاف بين علي وفاطمة جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ، فلم يجد علياً، فقال: «أين: ابن عمك؟...» [رواه البخاري]. وفي هذا الإشعار بالقرابة والرحم، والتودد إلى زوجها وأنه ابن عمها.

❁ ومن مظاهر تكريمه:

إهتمامه ببناته وتفقد أحوالهن ليلاً والحرص عليهن ودعوتهن إلى الخير. طرق ﷺ علياً وفاطمة ليلة، فدعاهما وحثهما على الصلاة، فقال لها: «ألا تصليان؟» [رواه البخاري].

❁ ومن مظاهر تكريمه:

المؤانسة وإدخال الفرح والسرور على ابنته ومن ذلك، ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن فاطمة أقبلت تمشي كأن مشيتها مشية النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «مرحباً بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو شماله، ثم أسر إليها حديث فبكت، فقلت: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها، فقالت: أسر إليَّ: أن جبريل كان

يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، فبكيت. فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة أهل الجنة، أو نساء المؤمنين» فضحكت لذلك.

[رواه البخاري].

*** ومن مظاهر تكريمه:**

الترحيب بها: فإنه ﷺ إذا زارته إحدى بناته؛ أحسن استقبالها، واحتفى بقدومها:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: ما رأيت أحد أشبه سمتاً ودلاً، وهدياً برسول الله في قيامها، وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ؛ قام إليها، فقبلها، وأجلسها في مجلسه.

وكان ﷺ إذا دخل عليها؛ قامت من مجلسها، فقبلته، وأجلسته في مجلسها» [رواه أبو داود].

وفي رواية أخرى «فأخذ بيدها وقبلها».

*** ومن مظاهر تكريمه:**

إرشادهن وتوجيههن إلى الأفضل في أمور معاشهن، ومعادهن.

عن علي ـ رضي الله عنه ـ، أن فاطمة شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً (أي جارية تخدمها).

فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة. فلما جاء أخبرته.

قال: فجاءنا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم.

فقال: «على مكانكما»، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري.

فقال: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكم فكبرا أربعاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، وأحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم» [رواه البخاري].

*** ومن مظاهر تكريمه:**

أن بناته قريبات منه، يخدمنه ويقمن بأمره، في الحديث عن أم هاني قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره..» [رواه البخاري].

وكذلك ما جرى له ﷺ يوم أحد وقد أصيب في وجهه، قال سهل بن سعد: شهدت النبي ﷺ حين كسرت رباعيته، وجرح وجهه، وهشمت البيضة على رأسه، وإني لأعرف من يغسل الدم عن وجهه ومن ينقل عليه الماء، وماذا جعل على جرحه حتى رقأ الدم، وكانت فاطمة بنت محمد ﷺ تغسل الدم عن وجهه..» [السلسلة الصحيحة].

❁ ومن مظاهر تكريمه:

حرصه ﷺ أنه لا يدخل الحزن على بناته ولا يظهر لهن ما يكرهن، فعندما تغشاه الكرب وقربت وفاته ﷺ، وفاطمة ابنته ـ رضي الله عنها ـ ترى ما نزل به ﷺ، قال لها مهوناً عليها: «لا كرب على أبيك بعد اليوم» [رواه ابن حبان].

❁ ومن مظاهر تكريمه:

الحرص على تطبيبهن ومراعاة أحوال مرضهن، ويظهر ذلك جليّاً حين غزوة بدر وكانت ابنته رقية مريضة، فما كان منه ﷺ إلا أن أمر زوجها عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أن يبقى معها يمرضها وله سهم بدر أجراً وسهماً.

في الحديث عند البخاري، أن النبي ﷺ قال لعثمان ـ رضي الله عنه ـ: «أقم معها، ولك أجر من شهد بدراً وسهمه».

❁ ومن مظاهر تكريمه:

رحمتهن والشفقة عليهن، والتألم لمصابهن، قال في زاد المعاد: فقد بكى ﷺ لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض، وبكى ﷺ لما جلس على قبر إحدى بناته.

* ومظاهر تكريمه:

الوصية لابنته بالخير. عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ: «يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؛ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» [صحيح الجامع].

* ومظاهر تكريمه:

أنه كان ﷺ يصل بناته بالهبات والأعطيات، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كساني رسول الله ﷺ حلة من سيراء، فخرجت فيها.

فقال: «يا عليُّ، إني لم أكسكها لتلبسها، أجعلها خمراً بين الفواطم» [رواه البخاري].

«اجعلها خمراً» جمع خمار، وهو غطاء الرأس.

«بين الفواطم» المراد بالفواطم: فاطمة بنت النبي ﷺ، وفاطمة بنت أسيد والدة عليّ، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.

* ومن مظاهر تكريمه:

أنه ﷺ كان يواسي بناته، ويصبرهن عند المصيبة:

فعن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: أرسلت ابنة النبي

ﷺ إليه إن ابناً لي قبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: «إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب».

فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها؛ فقام، ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي؛ ونفسه تتقعقع كأنها شن ففاضت عيناه.

فقال سعد: يا رسول الله! ما هذا؟

فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، إنما يرحم الله من عباده الرحماء» [رواه البخاري].

❁ ومن مظاهر تكريمه:

أنه كان يحزن لوفاة أحد أبنائه أو بناته: وقد فقد أولاده ﷺ من الذكور والإناث، ولم يبق بعد وفاته إلا فاطمة ـ رضي الله عنها ـ.

وكان هديه ﷺ في وفاة أحد من أولاده ـ رضي الله عليهم ـ، أنه كان يحزن لوفاته، وتذرف عيناه الدمع على فراقه، ولا يقول إلا ما يحب الله ويرضى.

يقول أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في نبأ وفاة أم كلثوم ـ رضي الله عنها ـ: شهدنا بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر؛ فرأيت عينيه تدمعان» [رواه البخاري].

وهذه ليست دموع جزع، وسخط من قضاء الله وقدره؛ إنما هي دموع رحمة وشفقة تذرف من عيون الرحماء.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ضئراً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ.

فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود نفسه. فجعلت عينا رسول الله تذرفان.

فقال له عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ: وأنت يا رسول الله؟!

قال: «يا ابن عوف، إنها رحمة».

ثم أتبعها بأخرى.

فقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» [رواه البخاري].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ».

قال: وكان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق، ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن. [وفي رواية وقد أمتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بن يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله ﷺ].

وكان ظئره قيناً، فيأخذه فيقبله ثم يرجع.

فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي [أي: في سن الرضاع]، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة» [رواه مسلم].

ومن مظاهر تكريمه:

أنه كان يشارك بناته في جميع أحوالهن، في الحياة وبعد الممات، وكان من هديه ﷺ في وفاة بناته ـ رضي الله عنهن ـ أنه كان يشرف على تغسيلهن وتكفينهن، ويصلي عليهن، ويدفنهن، ويقف على قبورهن ويدعو الله لهن.

عن أم عطية الأنصارية ـ رضي الله عنها ـ قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته أم كلثوم.

فقال: «اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك، إن رأيتن ذلك بماء، وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً؛ أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتن فآذنني».

فلم فرغنا آذناه؛ فأعطانا حقوة ـ تعني إزاره ـ؛ فقال: «أشعرنها إياه» [رواه البخاري].

النبي ﷺ مع حفيداته

ذكر الله ـ عز وجـل ـ الأحفاد في كتابه الكريم، فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢].

وقد رزق الله نبينا محمداً ﷺ أبناء ذكور وإناث، جميعهم أمهم خديجـة بنت خويلد ـ رضي الله عنهـا ـ، عدا إبراهيم فأمه مارية القبطية.

وحيـث أن أبناءه ﷺ الذكور توفوا مبكرين وهم صغار، فإن ما بقي من ذريته ﷺ هم من نسل بناته الأربع.

وحفيدات النبـي ﷺ كلهن جدتهن خديجة ـ رضي الله عنها ـ وهن:

الأولى: زينب بنت علي بـن أبي طالب، وأمهـا فاطمة ـ رضي الله عنهم ـ، تزوجت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

والثانيـة: أمامة بنت أبي العـاص بن الربيع، الذي قال فيه النبي ﷺ: «**حدثنـي فصدقني، ووعدني فوفى لي**» [رواه البخاري]، وأمها زينب

ـ رضـي الله عنهم ـ، تزوجها علي بن أبي طالب في خلافة عمر بن الخطاب، وبقيت عنده حتى قتل.

والثالثة: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة ـ رضي الله عنهم ـ تزوجها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ.

وكان ﷺ ودوداً رحيماً بحفيداته فهن امتداد لأمهاتهن وجدتهن، ومن مظاهر ذلك في حياته ﷺ:

• **رحمته وشفقته:**

كـان ﷺ رحيمـاً بالأطفال دائم الحـنو عليهـم، قـال أنس ـ رضي الله عنه ـ: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسـول الله ﷺ» [رواه مسلم].

وفي الحديث الآخر، قال ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا**» [رواه الترمذي].

• **التأذين في أذنه وتحنيكه:**

كان إذا ولـد مولود أذن في أذنه اليمنـى، ليكون أول ما يطرق سمعه في الدنيا توحيد الله وتحميده وتعظيمه.

عن أبي رافع قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن علي، حين ولدته فاطمة بالصلاة» [رواه ابو داود].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أن رسول الله ﷺ: كان يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم ويحنكهم» [رواه مسلم].

وكان ﷺ يعق عنهم، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: عق رسول الله ﷺ عن الحسن، والحسين ـ رضي الله عنهما ـ، بكبشين، كبشين» [رواه النسائي].

• **الحلم والصفح:**

عن لبابة بنت الحارث، قالت: كان الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ في حجر رسول الله ﷺ فبال عليه، فقلت: البس ثوباً وأعطني إزارك حتى أغسله، قال: «**إنما يغسل من بول الأنثى، وينضح من بول الذكر**» [رواه أبو داود].

وعن أبي ليلي، قال: كنت عند رسول الله ﷺ أو على صدره، أو بطنه الحسن، أو الحسين، قال: فرأيت بوله أساريع، فقمنا إليه، فقال: «**دعوا ابني، لا تفزعون حتى يقضي بوله ثم أتبعه الماء**» [رواه أحمد].

• **حملها في الصلاة:**

كان ﷺ يحتفي بحفيدته (أمامة) حيث أن والدتها زينب قد توفيت، فكانت كثيرة المجيء إلى بيت جدها رسول الله ﷺ.

ومـــن مظاهر تكريمه لحفيدته أمامة، ما رواه أبو قتادة الأنصاري: «أن رســـول الله ﷺ كان يصلي وهـــو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها».

ولعل الســـر في حملة أمامة في الصلاة هو دفع ما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهن، فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة للمبالغة في ردعهم. وقد يكون لمؤانســـتها وحتى لا تزعج من في المسجد أو لكليهما.

• **تعليمها:**

وقد أمـــر ﷺ بتعليم الصغار الصلاة في المســـاجد، فقال ﷺ: «**علموا أولادكم الصلاة، إذا بلغوا سبعاً، وأضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع**» [صحيح الجامع].

• **إهداؤها:**

وكان ﷺ يعطـــف على حفيدته (أمامة) ويكرمها ويرحمها لوفاة والدتها، ومنحها من الحب أكثـــره ومن الرعاية أعلاها، فقد روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشـــة ـ رضـــي الله عنها ـ، قالت: «أهدي إلى رســـول الله ﷺ قلادة من جزع (خرز) ملمعة بالذهب ونســـاؤه مجتمعات فـــي بيت كلهن، وأمامة بنـــت أبي العاص بن الربيـــع، جارية تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رســـول الله

ﷺ: كيـف ترين هذه؟ فنظرن إليها فقلن: يا رسـول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب، فقال: «أردديها إلي» فلما أخذها، قال: «والله لأضعنَّها في رقبة أحب أهل البيت إليّ».

قالت عائشة: فوضعها في رقبة أمامة».

• مناداتها والتلطف معها:

وعن عائشـة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قدمت على النبي ﷺ حلية مـن عنـد النجاشـي أهداها لـه، فيهـا خاتم من ذهب فيه فص حبشي.

قالت: فأخذه رسول الله ﷺ بعود معرضاً عنه أو ببعض أصابعه. ثـم دعا (أمامة) ابنه أبي العاص، ابنه بنته زينب، فقال: «تحلي بهذا يا بنيه» [رواه أبو داود].

• تعويذها:

كان من فعل النبي ﷺ المحافظة على الأحفاد من شـياطين الجن والأنس بتعويذهم.

في صحيح البخاري عـن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال كان ﷺ يعوذ الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بهما إسـماعيل وإسحاق، أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» [رواه البخاري].

النبي ﷺ وعامة النساء

تشكل المرأة ما يقارب أو يزيد من نصف المجتمع عدداً، واهتم الإسلام بالمرأة المسلمة أيما اهتمام، لأنها هي التي تنجب وتربي، وتقوم وتحافظ على نصف المجتمع الآخر من آباء وأزواج وأبناء وبنات. وقد كان لهن النصيب الأوفى من تعاليم الإسلام وشرائعه وتكريمه، وسوف نذكر طرفاً من ذلك:

- **ذكرهن والثناء على الصالحات:**

أثنى الله ـ عز وجل ـ على نساء في كتابه الكريم منهن: أم موسى، وامرأة فرعون.

وسمى سورة كاملة باسم (مريم)، وكذلك سورة كاملة باسم سورة (النساء)، وسورة ثالثة تعنى بحال المرأة قبل الطلاق وأثناءه وبعده، وهي سورة (الطلاق) وتسمى سورة النساء الصغرى. وكل ذلك من تكريم المرأة ورفع شأنها، وحفظ حقوقها.

- **مراعاة أحوالهن:**

جاء عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث تخص المرأة، تراعي حالتها وطبيعتها وأصل خلقتها، قال ﷺ: «... واستوصوا بالنساء

خيرًا، فإنهن خلقن من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج...»، وفي لفظ مسلم: «إنَّ المرأة خلقت من ضِلَع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تُقيمُها كسرتها وكسرها طلاقها».

قال النووي: وفي هذا الحديث مُلاطفة النساء والإحسان إليهن، والصَّبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضَعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب، وأنَّه لا يطمع باستقامتها، والله أعلم.

وخلق المرأة من ضلع أعوج أعلاه ليس ذماً لها بل وصف للحال الذي خلقت منه.

وما على القوس من عيب تعاب به
إن انحت واستقام السهم والوتر

• تبيين حالها:

وبينت السنة أنَّ المرأة خلقت أضعف من الرجل، وفي هذا مزيد تنبيه لحالهن وضعفهن ومداراتهن.

وقد ذكَّر النبي ﷺ بضعفهن بقوله: «اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة» ؛[رواه النسائي]، فهي أقلُّ من الرجل عملاً وإنتاجًا، وأقل منه رغبة في الطموح؛ لأنها خلقت ضعيفة، وذلك بسبب ما يعتريها من العادة الشهرية، وأعباء الحمل والوضع وتربية الأولاد، وكل هذا

يشـــغلها أن توازن الرجل في عمله، والنادر من النســـاء لا ينقض القاعدة، ووصفهن ـ عليه الصلاة والســـلام ـ بسبب هذا الضعف الذي طبعن عليه بقوله: «فإنهن عندكم عوان»؛ أي: أســـيرات عند الرجال.

ـ وجاء في رعاية النساء، والعناية بهن:

أنَّ آخِـــرَ وصايـــا الرســـول ﷺ قبـــل وفاته كانـــت قوله ﷺ: «واســـتوصوا بالنســـاء خيراً»، وهذا يدل على عظم هذه الوصية وهو يفارق الدنيا.

ـ وقال ﷺ في الحديـــث الآخر: «اتقوا الله في نســـائكم، فإنَّما هنَّ عوانٍ عندكم» [رواه الترمذي].

وقوله: «عوان»: أي: أســـيرات، وشبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير، وقوله: «فلا تبغوا عليهن سبيلاً»؛ أي: لا تطلبوا طريقاً تحتجُّون به عليهن وتؤذونهن به.

• النظر إلى المحاسن:

غالب الناس حال الغضب أو المفارقة ينظر إلى المساوئ والمعايب دون المحاســـن والمناقب، وقد جعل النبي ﷺ قاعدة عظيمة في هذا الشـــأن، مبناها على العدل والأنصاف ورؤية المحاسن والإيجابيات حتى يظهر الفرق وترتاح النفس وتهدأ.

جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» ـ أو قال: «غيره» [رواه مسلم].

بل إن الله ـ عز وجل ـ جعل في صفحات الغيب ما لا نعلمه ولا ندركه، قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝﴾ [النساء: ١٩].

ومن تأمل الأمر، رآه فيمن يعرف من صلاح الزوجة بعد حين، وإنجاب أبناء بررة، واستقرار حال.

• **إرشادهن للأفضل:**

كان ﷺ يشير عليهن في أمور الحياة، ومن ذلك أمور الزواج، بما يحقق لهن حياة طيبة.

عن فاطمة بنت قيس قالت: إن زوجها طلقها ثلاثاً، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة.

قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «إذا حللت فآذنيني».

فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني.

فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، أما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامه بن زيد».

فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة».

فقالت: بيدها هكذا: أسامة، أسامة.

فقال لها رسول الله ﷺ: «طاعة الله وطاعة رسوله خير لك».

قالت: فتزوجته، فجعل الله فيه خيراً، فاغتبطت». [رواه مسلم].

قال النووي: «وأما إشارته ﷺ بنكاح أسامة فلما علم من دينه، وفضله، وحسن طرائفه، وكرم شمائله، فنصحها بذلك».

• **يعلمهن ما ينفعهن:**

عن أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب، أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئاً» [رواه أبو داود].

وكثيراً ما تصاب النساء بالكرب بسبب الحمل، أو الوضع، أو قسوة الزوج، أو اشتداد الأولاد عليها، وغير ذلك.

فعلى المرأة أن تحافظ على هذا الذكر العظيم الذي يفرج الله به الكرب.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم» [رواه البخاري].

• أبيح للمرأة ما لم يبح للرجل:

للمرأة حاجات ومتطلبات تتناسب مع تكوينها ونفسيتها، ولإشباع رغبات وحاجات الأنثى، ذكر الله حالها: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝﴾ [الزخرف: ١٨].

ولهذا أذن لها الشارع الحكيم بما لم يأذن به للرجال، وأحل للمرأة من الزينة ما لم يحل للرجل أن يتزين به؛ ومن ذلك لبس الحرير والذهب، قال ﷺ: «حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم»؛ [رواه الترمذي].

وما ذلك إلا لأن المرأة جبلت على حب الزينة، والتحلي بالثياب والمجوهرات وغير ذلك.

• الوصية بهن:

رغب النبي ﷺ بالرفق بالنساء، ومراعاة أن المرأة أكثر حياءً من الرجل، حتى قيل: زينة المرأة الحياء.

ويوضح ذلك حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها»، «وإذا كره شيئًا عرف في وجهه»، فلم يكن يواجه أحدًا بما يكرهه، بل يتغير وجهه، فيفهم أصحابه كراهيته لذلك، فلما فُضِّل حياؤه على حياء العذراء في خدرها، وهو أكمل الناس حياءً دل على زيادة هذه الصفة عند

المرأة، لكن هذا عند بقاء المرأة على فطرتها وحيائها.

• الوقوف معهن في الشدائد:

كان ﷺ ينظر إلى أهله وأصحابه في حال الرخاء والشدة، والفرح والحزن.

لما استشهد جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بمؤتة واسى أهله في مصيبتهم وتكفل بشؤونهم.

عن عبد الله بن جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «فإن قتل زيد، أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة».

فأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إن إخوانكم لقوا العدو، وأن زيد أخذ الراية، فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه».

فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ثم أتاهم. فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم أو بعد غد، أدعوا لي بنيَّ أخي».

قال: فجيء بنا كأنا أفرخ.

فقال: «ادعو إليَّ الحلاق».

فجيء بالحلاق، فحلق رؤوسنا.

ثم قال: «أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي».

ثم أخذ بيدي، فأشالهما، فقال: «اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» قالها ثلاث مرات.

فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا، وجعلت تفرح له.

قال: «العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة» [رواه أحمد].

• الدعاء لهن:

كان بعض النساء يطلبن منه ﷺ الدعاء، فيجيب طلبهن، ففي الحديث عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل النبي ﷺ على أم سليم فأتته بتمر وسمن.

فقال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه، فإني صائم».

ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها.

فقالت أم سليم: يا رسول الله إن لي خويصة.

قال: «ما هي».

قالت: خويدمك أنس، ادع الله له.

فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به، قال: «اللهم ارزقه مالاً، وولداً، وبارك له فيه».

قال أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم حجاج البصرة بضع وعشرون ومائة» [رواه البخاري].

• التذكير برقتهن وعاطفتهن:

ـ بينت السُّنة أن المرأة مرهفة الحس والعاطفة، وسريعة التأثر والانفعال، ومجبولة على الرفق والحنان ومحتاجة إليه.

فعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، وكان معه غلام له أسود، يقال له: أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير».

والقوارير: جمع قارورة، وهي الزجاجة، وكنى عن النساء بالقوارير؛ لرقتهن وضعفهن عن الحركة، يشبهن بالقوارير في الرِّقة واللَّطافة وضعف البنية، وهذا يستلزم الحرص عليهن والعناية والرفق بهن.

ـ ومما يدل على عاطفة المرأة وحنانها أنَّ الحضانة أسندت إلى الأم، ولم تسند الحضانة إلى الرجل.

ويوضح ذلك ما جاء أنَّ امرأة قالت: يا رسول الله، إنَّ ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه منِّي، فقال لها رسول الله ﷺ: «أنت أحقُّ به ما لم تنكحي» [رواه أبو داود].

• مراعاة ظروفهن:

قررت الشريعة حال المرأة وأنها تحتاج إلى مراعاة ومدارة لما يقع عليها ويجري.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن»، قُلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟»، قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟»، قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها».

فقوله: «أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟»: فيه بيان سبب كونهن ناقصات عقل ودين؛ وذلك لأنهن يمكثن الأيام لا يصلين ولا يصمن. وفي هذا يلزم مداراتهن والعفو عما يصدر منهن؛ لأن الحيض يعتبر حالة مرضية، تمرض فيه الزوجة وتتعب، وربما بقيت أياماً طريحة الفراش.

• الحلم والصفح:

أوضـــح ﷺ حال المرأة خاصة عند الغضـــب ليعلم ذلك الرجل فيراعي حالها، ويتحمل ما يصدر منها.

فقد ذكر ﷺ أن في النّساء كفرانًا للعشير، ووصفن بكثرة اللعن؛ كما جاء ذلك في قوله ـ عليه الصلاة والســـلام ـ: «يا معشر النساء، تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار»، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشـير»، وقـــال النبي ﷺ: «أريت النار، فإذا أكثر أهلها النســـاء يكفرن»، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحســـان، لو أحســـنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط.

قوله: «شيئاً»: للتقليل أو التحقير، شيئًا قليلاً أو شيئًا حقيرًا.

وقوله: «لو أحســـنت إلـى إحداهن الدهر»، والمـــراد منه مدة عمر الرجل، فالزمـــان كله مبالغة في كفرانهـــن. وفي ذلك حث على الصبر عليهن ومداراتهن وتحمل هفواتهن.

• حثهن على الصدقة:

عن أبي ســـعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رســـول الله ﷺ كان يخـــرج يوم الأضحى، ويوم الفطر، فيبدأ بالصلاة، فإذا صلى صلاته وســـلم قام، فأقبل على الناس وهم جلوس في مصلاهم،

فإن كان له حاجة ببعث ذكره للناس، أو كانت له حاجة بغير ذلك أمرهم بها. وكان يقول: «تصدقوا، تصدقوا، تصدقوا»، وكان أكثر من يتصدق النساء. [رواه البخاري].

• حثهن على الإكثار من ذكر الله ـ تعالى ـ:

النبي ﷺ هو معلم الناس الخير، ما ترك موطناً ولا مناسبة إلا كانت دعوة لله ـ عز وجل ـ.

عن يسيرة ـ رضي الله عنها ـ، وكانت من المهاجرات، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح، والتهليل، والتقديس، واعقدن بالأنامل، فإنهن مسئولات مستنطقات، ولا تغفلن، فتنسين الرحمة» [رواه الترمذي].

وفي الحديث الآخر كان ﷺ يحثهن على الصدقة بقوله: «تصدقن يا معشر النساء، ولو من حليكن» [رواه مسلم].

• الحث على شهود مواسم الخير:

مواسم الخير والطاعات مواسم عامة، يغفل البعض ويتكاسل عن شهودها وحضورها، وكان ﷺ يحث على حضورها رغبة في سماع الموعظة وإدارك الدعاء مع المسلمين.

عن أم عطية ـ رضي الله عنها ـ قالت: أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين، والعواتق، وذوات الخدور، فيشهدن الخير، وجماعة

المسلمين، ودعوتهم، ويعتزل الحيض عن مصلاهن.

قالت امرأة: يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب.

قال: «لتلبسها صاحبتها من جلبابها» [رواه البخاري].

• **إعطاء كل ذي حقه:**

أنصف النبي المرأة أينما كانت، وإياً كان وضعها وسنها ومكانتها.

ومن ذلك أن النبي ﷺ لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما الحاجة، وهذا من تواضعه ﷺ.

قال أنس: «كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت في حاجتها» [رواه البخاري].

• **بث الود والحب:**

رغبة في استمرار الحياة الزوجية وصفاءها، أوصى ﷺ الزوج بزوجته، وكذلك أوصى الزوجة بزوجها خيراً، ووعد بالأجر العظيم على ذلك.

قال ﷺ لامرأة: «أذات زوج أنت؟» قالت: نعم، قال: «كيف أنت له؟» قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، فقال: «فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك» [رواه أحمد].

• تبين حالها:

امتدح النبي ﷺ المرأة الموافقة لزوجها، المراعية لحاله.

فقد سُئل النبي ﷺ: أي النساء خير؟ فقال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره» [رواه النسائي].

وفي هذا الحديث قواعد هامة، وأصول ثابتة لاستمرار الحياة الأسرية والسير بها إلى بر الأمان.

• وعاشروهن بالمعروف:

حث الشارع الحكيم الرجل بالوصية بالزوجة خيراً، فقال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾.

والمعروف: كلمة جامعة مانعة لما تعارف عليه الناس من حسن الخلق، وطيب المعشر، وجميل المعاملة.

ـ ومن كريم خلقه النبي ﷺ أنه لم يطق أن تُضرب أمة، وعندما رأى من ذلك. قال لمن ضربها: «أعتقها فإنها مؤمنة» [رواه مسلم].

• الترحيب بكبيرات السن:

لكبيرات السن من النساء مكانة ومنزلة عند النبي ﷺ.

فعن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي وهو عندي، فقال لها رسول الله: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية.

فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فلما خرجت قالت عائشة: يا رسول الله! تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» [رواه الحاكم].

• **إدخال السرور على العجائز:**

جاءت امرأة عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]» [صححه الألباني].

• **تخييرها في الأمور:**

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى.

قال «هذه المرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي!

فقال النبي ﷺ: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك».

فقالت: أصبر.

ثم قالت: إني أتكشف! فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها. [رواه البخاري].

• **الإعانة على الطاعه:**

كان ﷺ يساعد القريب والبعيد، ويمشي في حوائج أصحابه، ومن مظاهر مساعدته ﷺ لأقاربه: حرصه على أدائهم للنسك معه، وإقناعه لمن لم يكن ينوي منهم الخروج بالمبادرة إلى ذلك. كما في قصة ضباعة ـ رضي الله عنها ـ حين دخل عليها النبي ﷺ، فقال لها: «**أردت الحج؟**».

قالت: والله ما أجدني إلا وجعة.

فقال لها: «**حجي واشترطي، وقولي: اللهم محلي حيث حبستني**» [رواه البخاري].

• **الترحيب بالقرابة:**

كان ﷺ يرحب بقريباته ويفرح بقدومهن عليه، ويصلهن.

تذكر ذلك أم هاني بنت أبي طالب حيث قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره بثوب، فقال: «**من هذه؟**» فقلت: أنا أم هاني بنت أبي طالب، فقال: «**مرحباً بأم هاني**» [رواه الترمذي].

• ذوو الاحتياجات:

اعتنى النبي ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة من النساء، مراعاة لظروفهن وحاجاتهن.

فعن أنس بن مالك أن امرأة في عقلها شيء، قالت: يا رسول الله! إن لي إليك حاجة، فقال رسول الله: «يا أم فلان! انظري أي طريق شئت قومي فيه حتى أقوم معك» فخلا معها رسول الله يناجيها حتى قضت حاجتها. [رواه مسلم].

• مراعاة الأحوال:

النبي ﷺ رحيم بأمته، شفيق عليها، يراعي أحوال الناس وينظر في مآلات الأمور.

عن بريدة بن الحصيب ـ رضي الله عنه ـ قال: ـ بعد ذكر قصة ماعز ـ فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت، فطهرني، وإنه ردها فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لم تردني لعلك أن تردني كما ردت ماعزاً فوالله إني لحبلى.

قال: «إما لا، فاذهبي حتى تلدي».

فلمات ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته.

قال: «اذهبي، فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل

الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها حفر لها إلى صدرها، وأمر الناس، فرجموها.

فيُقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها فسمع نبي الله سبه إياها، فقال: «مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس؛ لغفر له».

ثم أمر بها، فصلى عليها، ودفنت. [رواه مسلم].

زاد في رواية: فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟

فقال: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة؛ لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله - تعالى -» [رواه مسلم].

• الوصية لكل أحد:

كان ﷺ يوصي كثيراً، ولكل مناسبة ما يناسبها، ولكل مقام مقال، ومن وصايا الرسول ﷺ للعروسين في ليلة الزفاف.

الامتنان لذهاب النساء والصبيان إلى العرس للفرح والسرور بهذا الاجتماع.

يروي أنس بن مالك - رضي الله عنه - فيقول: أبصر النبي ﷺ نساءً وصبياناً مقبلين من عرس، فقام ممتناً، فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إليّ» [رواه البخاري].

• الوصية بالزوجة:

لم يكتف ﷺ بحسن خلقه مع زوجاته بل نرى أنه يحرض أصحابه، ويوجه خطاهم نحو الإحسان إلى زوجاتهم ورعاية حقوقهن.

ها هو ﷺ يدخل على زوجته عائشة - رضي الله عنها - فيجد عندها بعض النسوة، ويقع نظره على إحداهن رثة الثياب مكتئبة المحيا، فيسأل عن أمرها، فقيل له إنها زوجة عثمان بن مظعون، وإنها تشكو بثها وحزنها، فعثمان مشغول عنها بعبادة ربه، يقوم ليله ويصوم نهاره، فيذهب الرسول ﷺ، ويلقى عثمان - رضي الله عنه - فيقول له: «يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك فيَّ أسوة حسنة، فوالله إني لأخشاكم لله وأحفظكم لحدوده» وكان من جملة ما قاله له: «.. وإن لزوجك عليك حقاً..».

وقد امتثل ابن مظعون - رضي الله عنه - لنصيحة النبي ﷺ، وفي صبيحة اليوم التالي تأتي زوجة ابن مظعون إلى بيت النبي ﷺ عطرة نضرة كأنها عروس، واجتمع حولها النساء، وتعجبن من تبدل حالها ومن فرط ما طرأ عليها من بهاء وزينة، وقلن لها: ما هذا يا زوجة ابن مظعون، فقالت وهي تضحك: أصابنا ما أصاب الناس.

• صلة الأقارب والأصحاب:

كان ﷺ يـزور أقاربه، ويطمئن على حالهـم، ويعطف عليهم ويقوم بمصالحهم:

عـن أنس بن مالك ـ رضي الله عنـه ـ قال: كان النبي ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أم سليم، فإنه كان يدخل عليها [أي: على الدوام].

فقيـل لـه فـي ذلك، فقـال: «إني أرحمهـا، قتل أخوها معي» [رواه البخاري].

و(أم سليم) هي أم أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

قتل أخوها حرام بن ملحان في غزوة بئر معونة.

والنبـي ﷺ كان يجبر قلب أم سـليم بزيارتها، ويعلل ذلك بأن أخاهـا قتل معه، ففيه خلفه في أهلـه بخير بعد وفاته، وذلك من حسن عهده ﷺ.

قال النووي: قد قدمنا في كتاب الجهاد عند ذكر أم حرام أخت أم سـليم أنهما خالتين لرسول الله ﷺ محرمين إما من الرضاع، وإما من النسب، فتحل له الخلوة بهما، وكذا كان يدخل عليهما خاصة، لا يدل على غيرهما من النساء إلا أزواجه.

• **يتابع أمور أقاربه:**

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية.

وقال لأسماء بنت عميس: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة؟ تصيبهم الحاجة؟».

قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم.

قال: «ارقيهم».

قالت: فعرضت عليه.

قال: «ارقيهم» [رواه مسلم].

• **تعليم النساء:**

كان النبي ﷺ يعلم الرجال ويوصيهم أن يعلموا من خلفهم من الزوجات والأبناء، وكذلك كان يعلم النساء ويعظهن ويفتيهن في مسائلهن.

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله.

قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا».

فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار».

فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين؟

فقال رسول الله ﷺ: «واثنين، واثنين، واثنين» [رواه البخاري ومسلم].

• **التوجيه الطيب:**

النبي ﷺ في كل مناسبة يُشرِّع لأصحابه ما يعين على حسن العشرة، ويحث على ذلك.

عن معاوية بن حيدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، ما حقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطعِمها إذا طَعِمت، وتكسوَها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تُقبِّح، ولا تَهجُر إلاَّ في البيت»؛ [رواه أبو داود].

• **تعليم أصحابه:**

كان ﷺ يحث أصحابه ويعلمهم التلطف مع زوجاتهم والرفق بهن.

في الحديث عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر» قال: فأتيت امرأتي وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ» [السلسلة الصحيحة].

ـ ومـــن نصحه ﷺ وتعليمه أصحابه ما ينفعهم ما روته عائشـــة حيث قالـــت: فجاءت امرأة رفاعة القرظي رســـول الله ﷺ، وأنا جالسة، وعنده أبي بكر.

فقالـــت: يا رســـول الله إني كنت تحت رفاعـــة، فطلقني، فبت طلاقي، فتزوجت بعـــده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رســـول الله إلا مثل هذه الهدبة [أرادت أن ذكره يشـــبه الهدبة في الاسترخاء، وعدم الانتشار].

وأخذت هدبة من جلبابها.

وخالد بن ســـعيد بن العاص بالباب ينتظر أن يؤذن له، فقال: يا أبا بكر ألا تسمع إلى هذه ما تجهر به عند النبي ﷺ.

فلا والله، ما زيد رسول الله ﷺ على التبسم.

فقال لها رســـول الله ﷺ: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة! لا، حتى يذوق عسيلتك، وتذوقي عسيلته».

قال: فسمع بذلك زوجها، وأنها قد أتت رسول الله ﷺ، فجاء ومعه ابنان له من غيرها.

فقال: كذبت والله يا رسول الله إني لأنفضها نفض الأديم [وهو كناية عن كمال قوة المباشرة]، ولكنها ناشز تريد رفاعة.

فقال: «بنوك هؤلاء؟».

قال: نعم.

قال: «هذا الذي تزعمين ما تزعمين، فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب» [رواه البخاري].

• **الحث على رعاية الأرملة:**

رغب ﷺ في السعي على الأرملة لضعفها وفقدها للمعين، وعظّم أجر القائم عليها.

قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل والصائم النهار» [رواه البخاري].

• **إقالة ذوو الهيئات:**

أصحاب النفوذ والمكانة، لهم قدرهم ومنزلتهم، وكان هذا من فعل النبي ﷺ، فإنه لما كتب كتاباً إلى الملوك، قال في أوله: من محمد رسول الله إلى عظيم الروم.. وإلى عظيم الفرس.

ولما وقعت بنت حاتم الطائي في الأسر، وحبست في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يحبسن فيها، فلما مر بها رسول الله ﷺ قامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، وأنا عجوز كثيرة ما بي من خدمة، فمن عليّ، منّ الله عليك.

قال: «ومن وافدك».

قالت: عدي بن حاتم.

قال: «الفار من الله ورسوله؟».

حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس.

حتى إذا كان بعد الغد مر بي، وقد يئست منه، فأشار إليَّ رجل من خلفه أن قومي، فكلميه فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالـــد، وغاب الوافد، منَّ عليّ مـــنَّ الله عليك، فقال ﷺ: «قد فعلـت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومـك من يكون له ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني».

فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه، فقيل: علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ.

وأقمت حتى قدم ركب من قضاعة، فجئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني، وأعطاني نفقة.

فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

• **تحقيق رغبتها:**

الزواج أمره عظيم، ومن دوام العشـــرة واستمرار الحياة الزوجية قبول كل طرف بالآخر، ولهذا كان ﷺ يرد نكاح من زوجها أبوها بغير رضاها:

عن خنســاء بنت خدام الأنصارية ـ رضــي الله عنها ـ أن أباها زوجهــا وهي ثيــب، فكرهت ذلك، فأتت رســول الله ﷺ، فرد نكاحه. [رواه البخاري].

• **وكان لا يزوج المرأة إلا بعد موافقتها:**

عــن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال لرجل: «**أترضى أن أزوجك فلانة؟**».

قال: نعم.

وقال للمرأة: «**أترضين أن أزوجك فلاناً؟**».

قالت: نعم. [رواه أبو داود].

• **تيسير الزواج:**

كان ﷺ يحث على تيسير الزواج رغبة في الإعفاف وكثرة النسل وقال: «**أخف النساء صداقاً أعظمهن بركة**» [رواه الطبراني].

• **النفقة عليهن:**

أوصى الإسلام برعاية الأنثى، ســواء كانت ابنة، أم زوجة، أم أمّاً؛ بل وأكد على رعاية حقوقها حتى في حال العبودية.

في حديــث الثلاثة الذين يؤتيهــم الله أجرهم مرتين ذكر ﷺ: «**الرجل تكون له الأمة، فيعلمها فيحســن تعليمها، ويؤدبها فيحســن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها، فله أجران**» [رواه البخاري].

والأنثى ـ في الإسلام ـ مكفولة النفقة، أمّاً كانت أو زوجة، أختاً كانت أو ابنة.

فمن واجب الرجل الإنفاق على الأسرة عموماً وعلى الزوجة خصوصاً، ولو كانت ذات مال ووظيفة، فقد أمر النبي ﷺ بذلك في خطبة يوم عرفة، وفي أكبر اجتماع لأصحاب النبي ﷺ، فقال: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف». [رواه مسلم].

• الاستماع إلى شكواهن:

قصة عجيبة، جرت أحداثها في بيت يقع في أطراف المدينة، ولكن السميع العليم سمع شكواها وأنصفها بآيات في كتابه العظيم.

عن خولة بنت ثعلبة ـ رضي الله عنها ـ قالت: والله فيَّ وفي أوس بن صامت أنزل الله ـ عز وجل ـ صدر سورة المجادلة.

قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر.

قالت: فدخل عليَّ يوماً فراجعته بشيء، فغضب، فقال: أنت عليَّ كظهر أمي.

ثم خرج، فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ، فإذا هو يريدني على نفسي.

فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

فواثبني، وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني.

ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه لله ما ألقى من سوء خلقه.

فجعل رسول الله يقول: «يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه».

قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي: «يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك»، ثم قرأ عليَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝﴾ إلى قوله ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝﴾ [المجادلة: ١ ـ ٤].

فقال لي رسول الله ﷺ: «مريه، فليعتق رقبة».

فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

قال: «فليصم شهرين متتابعين».

فقلت: والله يا رسول الله أنه شيخ كبير ما به من صيام.

قال: «فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر».

قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده.

فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينه بعرق من تمر».

فقلت: وأنا يارسول الله سأعينه بعرق آخر.

قال: «قد أصبت، وأحسنت، فاذهبي، فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً».

قالت: ففعلت. [رواه أحمد].

• **إجابة دعوتهن:**

النبي ﷺ كريم النفس، هين لين في أيد أصحابه، بل ربما دعته بعض النساء إلى طعام، فجيب دعوتها:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن أم سليم دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه، ثم قال: «قوموا؛ فلأصل لكم».

قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد أسود من لحول ما لبس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ: وصففت واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف [رواه البخاري].

• **يزور المرضى منهن:**

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب، فقال: «مالك يا أم السائب تزفزفين».

قالت: الحمى، لا بارك الله فيها.

فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد» [رواه مسلم].

وعن أم العلاء قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «أبشري يا أم العلاء إذا مرض المسلم يذهب الله به خطاياه، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة» [رواه أبو داود].

قال المنذري: وأم العلاء هي عمة حكيم بن حزام وكانت من المبايعات.

- وعن أبي أمامة بن سهل قال: مرضت امرأة من أهل العوالي، وكان النبي ﷺ أحسن شيء عيادة للمريض، فقال: «إذا ماتت فآذنوني».

فماتت ليلاً، فدفنوها، ولم يعلموا النبي ﷺ، فلما أصبح سأل عنها.

فقالوا: كرهنا أن نوقظك يا رسول الله.

فأتى قبرها، فصلى عليها، وكبر أربعاً. [رواه النسائي].

قال ابن عبد البر: وفيه إباحة عيادة النساء، وإن لم يكن ذوات محرم، ومحل هذا عندي أن تكون المرأة متجالة، وإن كانت غير متجالة فلا، إلا أن يسأل عنها، ولا ينظر إليها.

• **الإنكار برفق ولين:**

وهـــذا مما أمر الله به ـ عـــز وجـــل ـ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

عـــن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر على صبي لها، فقال: «**اتقي الله واصبري**».

قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه.

فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأخذها مثل الموت.

فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين.

فقالت: لم أعرفك.

فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» [رواه البخاري].

• **يصلي عليهن:**

من شفقته ﷺ على النساء أنه حزن وتأسف على المرأة التي كانت تقُمُّ المسجد، ودفنت من غير أن يصلي عليها.

عـــن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن امرأة ســـوداء كانت تقم المسجد، ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها، فقالوا: ماتت.

قال: «**أفلا كنتم آذنتموني؟**».

قال: فكأنهم صغروا أمرها.

فقال: «دلوني على قبرها».

فدلوه فصلى عليها. [رواه البخاري].

• باب للنساء:

أكـــرم النبي ﷺ المرأة وأبعدها عن أعـــين الرجال، فقد خصص النبي ﷺ باباً للنســـاء في المســـجد حتى لا يقربن من الرجال، ولا يرونهن حين الدخول والخروج:

عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء».

قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات. [رواه ابو داود].

والحديث فيه دليل أن النساء لا يختلطن في المساجد مع الرجال، بل يعتزلن في جانب المسجد، ويصلين هناك بالاقتداء مع الإمام.

فكان عبد الله بن عمر أشـــد اتباعاً للسنة، فلم يدخل من الباب الذي جعل للنساء حتى مات.

ـ ولكيـــلا يختلطن بالرجال كان النبـــي ﷺ يندبهن للصلاة في الصفوف المتأخرة.

فقال ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النســاء آخرها، وشرها أولها» [رواه مسلم].

قال النووي: والمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال، فهن كالرجال خير صفوفهن أولها، وشرها آخرها.

وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم، وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك.

• **منع الاختلاط في الطريق:**

عن أبي أسيد الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد تخلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن؛ فإنه ليس لكن إلا حافة الطريق، عليكن بحافات الطريق».

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. [رواه أبو داود].

• **أخذ الزينة:**

ندب النبي ﷺ المرأة إلى التجمل لزوجها والتزين له لتدوم العشرة وتستمر.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن امرأة مدت يدها إلى النبي ﷺ بكتاب فقبض يده، فقالت: يا رسول الله مدت يدي إليك بكتاب

فلم تأخذه؟ فقال: «إني لم أدر أيد امرأة هي أو رجل؟» قالت: بل يد امرأة، قال: «لو كنت امرأة لغيرت أظفارك بالحناء».

قال ابن حجر: وإنما أمرها بالخضاب؛ لتستتر بشرتها، فخضاب اليد مندوب للنساء للفرق بين كفها وكف الرجل.

• الرحمة بها:

كان ﷺ يخفف من صلاته شفقة على من يصلي خلفه من النساء إذا سمع بكاء صبي:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي؛ مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه» [رواه البخاري].

أي: من حزنها واشتغال قلبها به.

• والصلح خير:

كان ﷺ يسعى في حوائج الناس والإصلاح بينهم، وربما شفع ﷺ عند بعض النساء؛ ليصلح بينها وبين زوجها ومن ذلك:

لما عتقت بريرة، وكان زوجها عبداً، اختارت فراقه، فشفع النبي ﷺ له عندها كي ترجع إليه، فقالت: لا حاجة لي فيه.

ذكر ذلك ابن عباس حيث قال: أن زوج بريرة كان عبداً يقال له: مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته.

فقال النبي ﷺ لعباس: «يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً».

فقال النبي ﷺ: «لو راجعته».

قالت يا رسول الله: تأمرني.

قال: «إنما أنا أشفع».

قالت: لا حاجة لي فيه. [رواه البخاري].

• **أسرة مستقرة:**

جاء الأمر بحفظ الأسرة وجمع شملها، وعدم التفريق بين أفرادها.

في الحديث عنه ﷺ، أنه قال: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» [رواه الترمذي].

❁ هذه هي حال المرأة فالمسلمة في طفولتها: لها من الرضاع والرعاية وإحسان التربية، وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة التي يحوطها وليها بالرعاية والصيانة.

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله وميثاقه الغليظ.

ـ وإن كانت أماً كان برها مقروناً بحق الله ـ تعالى ـ. والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله والفساد في الأرض.

ـ وإن كانت أختاً فهي التي أمر المسلم بصلتها وإكرامها.

ـ وإن كانت جدة أو كبيرة في السن زاد قدرها وارتفعت مكانتها، فتقضى حاجاتها ويلبى أمرها، ولا يكاد يرد لها طلب.

ـ وإن كانت خالة فهي بمنزلة الأم في البر والصلة..

ـ وإن كانت من عامة نساء المسلمين كان لها حق الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر، والإعانة، والمساعدة إن احتاجت.

* وإن كانت المرأة كافرة فلها حقوق في السلم والحرب.

فقد نهى النبي عن قتل النساء في الحروب، فعن ابن عباس وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ: أن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب، وقد بوب العلماء في كتبهم باب (النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو).

ـ وحين مر ﷺ على امرأة مقتولة في بعض الغزوات فوقف عليها، ثم قال: «ما كانت هذه لتقاتل» ثم نظر في وجوه أصحابه، وقال لأحدهم: «الحق بخالد بن الوليد، فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً ـ أي أجيراً ـ ولا امرأة» [رواه أحمد وأبو داود].

ـ وكان الصحابة إذا سبوا لم يفرقوا بين الأم وولدها. لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

* منزلة السراري والإماء:

نظرت الشريعة إلى الفارق بين الرجل والمرأة في أمر العتق، فعملت على نقل النساء المملوكات من رابطة العبودية إلى رابطة الزوجية، وأمرت المسلمين بتزويجهن والبر بهن: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ﴾ [النور: ٣٢].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

ـ وفضلت الزواج بالجارية المملوكة على الزواج بسليلة البيوت من المشركات ولو حسن مرآها في العين: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ـ وفرضت لهن حقوقاً كما فرضت للأزواج: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [الاحزاب: ٥٠].

ـ وجعلت أصحاب المال ومن يملكونهم سواء فيما عندهم من رزق: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ﴾ [النحل: ٧١].

ـ وحرص الإسلام على البرِّ بهن في عواطفهم وإحساسهن، كما حرص على البرِّ بهن في أرزاقهن ومعيشتهن، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينهى المسلم أن يقول: «عبدي وأمتي» وإنما يقول: فتاي وفتاتي» كما يتحدث عن أبنائه.

ـ وكان وصيته بالصلاة والرقيق من آخر وصاياه ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ـ من كريم خلق النبي ﷺ أنه لم يطق النبي أن تُضرب أمة، وعندما جرى من ذلك. قال لمن ضربها:

«أعتقها فإنها مؤمنة» [رواه مسلم].

حق المسلمة في الحياة الزوجية

تهفو نفس المرأة إلى حياة زوجية كريمة، تجد فيها الأنس والسكن، ويرزقها الله ذرية طيبة تكون بهجة وزينة في الحياة الدنيا.

وقد أخبر النبي ﷺ أن المرأة الصالحة خير متاع الدنيا، وهي مما حبب إليه من الدنيا؛ فقال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «حبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة» [رواه النسائي]. وقد كان للزوجة عنده ﷺ مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعه.

ومن حقوق المسلمة في الحياة الزوجية:

أولاً: أن النبي ﷺ أمر بالتزوج من المؤمنة، والحث عليها، والترغيب في ذلك.

قال ﷺ: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجةً مؤمنة، تُعين أحدكم على أمر آخرته» [رواه ابن ماجه].

وقال ﷺ: «ما أفادَ عبدٌ بعد الإسلام خيرًا له من زوج مؤمنة؛ إذا نظر إليها سرَّته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله» [رواه الطبراني].

وعند البيهقي: أيُّ النساء خير؟ قال: «التي تسرُّه إذا نظر إليها، وتُطيعه إذا أمرها، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها».

ثانياً: بينت السنة حقَّ المرأة في الموافقة على الخاطب أو رفضه؛ فالمرأة كالرجل لها حق اختيار الزوج المؤمن الصالح، ولا يجوز إجبارها على الزواج برجل لا تريده.

قال رسول الله ﷺ: «الأيِّمُ أحقُّ بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن، وإذنها صمتها»؛ [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «لا تُنكح البكر حتى تُستأذن، ولا الثيب حتى تستأمر»، فقيل: يا رسول الله، كيف إذنها؟ قال: «إذا سكتت»؛ [رواه البخاري].

وقد جاءت الخنساء بنت خدام، فأخبرت الرسول ﷺ: بأن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهتُ ذلك، فرد نكاحها.

وهكذا نرى أن ولاية الأب على ابنته أو موليته هي ولاية حفظ ورعاية وصيانة وأمانة، لا ولاية عسف وجور.

ثالثاً: أوجب الشارع الحكيم على الزوج إعطاء الزوجة المهر الذي قرره لها، ولذا فهو لها إلا إذا تنازلت له عن شيء منه فيكون له حلالاً.

قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤].

رابعاً: جعل طاعة المرأة لزوجها سبباً لدخول الجنة.

قال ﷺ: «إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» [صحيح الجامع].

وفي هذا غاية التكريم للمرأة بأن تنال النعيم المقيم في دار الجزاء على هذه الأعمال.

خامساً: للمرأة صداقها كاملاً، جعله الشرع لها، وهي مالكة له لا يشاركها فيه أحد.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

سادساً: حكم الشارع الحكيم بأنه لا يحق للزوج من مال زوجته شيء، إلا إذا أعطته عن طيب نفس منها، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ

﴿ وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

سابعاً: جاءتِ السنة لتؤكِّد ما أمر الله به مِن معاشرة النِّساء بالمعروف في قوله جلَّ وعلا: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [النساء: ١٩].

والمعروف: كلمةٌ جامعة لكلِّ فعْل وقول وخُلُق نبيل.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أي: طَيِّبوا أقوالَكم لهن، وحَسِّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قُدرتِكم، كما تُحبُّ ذلك منها، فافعل أنت بها مثلَه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وجاءت السُّنَّة لتقرر هذا الأصل، فقال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسع عليهم نفقته، ويضاحك نساءه.

ثامناً: بينت السنة حق المرأة في العلم والتعلم.

فقد قال الرسول ﷺ: «أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها فله أجران»؛ [رواه البخاري].

وقد كان الرسول ﷺ يجعل للنساء يوماً؛ ليعظهن ويذكرهن، ويأمرهن بطاعة الله ـ تعالى ـ.

تاسعاً: أوجب الله ـ تعالى ـ للزوجة السكن الكريم المتناسب مع قدرة الزوج المالية.

قال تعالى ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦].

عاشراً: أوجب للزوجة العشرة بالمعروف، حال الحب وفي حال الكراهية.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء ١٩].

الحادي عشر: أوجب ـ تعالى ـ النفقة على الزوج كل بحسبه ومقدرته.

أخرج أبو داود عن معاوية القشيري ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ـ أو إذا كسبت ـ ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت».

الثاني عاشر: الزوجة شريكة الرجل في بيته، تشاركه السراء والضراء.

وما فتئ النبي ﷺ يوصي بالمرأة مرة بعد مرة، حتى إذا اجتمع أمامه مائة ألف من أصحابه في حجة الوداع قام فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان

عندكم [أي: الأسيرات] ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً». [أخرجه الترمذي وابن ماجه].

الثالث عشر: حذر النبي ﷺ من الظلم، وما زال ﷺ يوصي بحق المرأة، ويحذر الرجل من الاغترار بقوته وظلمها والإضرار بها، فيشهد الله على تأكيده على حقها وبراءته ممن آذاها.

قال ﷺ: «اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة» [رواه ابن ماجه].

الرابع عشر: الزوجة درة مصانة، لا يلزمها أن تكدح وتشقى بالعمل لتضمن مكاناً لها في بيت الزوجية، فهذا ليس من واجباتها ولا هو متناسب مع أنوثتها وطبيعة مهمتها السامية في إدارة بيتها وتربية أبنائها وإعطائهم حقهم من الحنو والرعاية.

جاء في الحديث: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راعٍ في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها». [رواه البخاري ومسلم].

الخامس عشر: أذن الشارع الحكيم للمرأة أن تأخذ من مال الزوج ما يكفيها وولدها بالمعروف ـ وإن لم يعلم بذلك ـ لأن إنفاق الزوج على زوجته واجب.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل عليَّ جناح أن آخذ من ماله سرّاً؟ قال: «خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف» [رواه البخاري].

السادس عشر: جعل النبي العشرة للزوجة بالمعروف ميزاناً للخيرية عند الله يستبق فيه المسلمون إلى محبة الله ورضاه.

فقد قال ﷺ «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» [رواه الترمذي].

وفي رواية: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله».

السابع عشر: أُمر الزوج الصبر والمسامحة وطيب القول وحسن الخلق، امتثالاً لأمر الله ـ عز وجل ـ ورغبة فيما عنده، بل ورغب في استمرار الحياة الزوجية حتى مع كراهته لزوجته.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

أي: صاحبوهن بما أمركم الله به من طيب القول؛ والمعاملة بالإحسان والتكريم والمحبة، وأداء ما لهن من حقوق، وقيل هي: الإجمال في القول والمبيت والنفقة. فإن كرهتم صحبتهن لسبب من الأسباب الدنيوية بقبح أو سوء خلق، فاصبروا عليهن واستمروا في

الإحسان إليهن، فإن في ذلك خيراً كثيراً. من ذلك امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدارين، وربما أن يرزقكم الله منهن ولداً صالحاً تقر به أعينكم، أو يعطفه الله عليها، أو يناله الأجر العظيم على صبره، وعسى أن يكون في الشيء المكروه الخير الكثير.

قال ابن عباس في معنى الآية الكريمة: «ربما رزق منها ولداً، فجعل الله فيه خيراً كثيراً».

وفي الحديث: «لا يفرك - أي لا يبغض - مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» [رواه مسلم].

الثامن عشر: بينت السنة أنَّ الأصل في المرأة أن تكونَ راعية في بيت زوجها.

قال ﷺ: «... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...» [متفق عليه].

وانظر إلى هذا التحديد والتقييد في قوله: «في بيت زوجها»، ولم يقل: في بيتها، وكأن سلطان المرأة وولايتها لا تكون إلاَّ في بيت زوجها؛ أي: بحسن تدبير المعيشة والأمانة في ماله وغير ذلك.

التاسع عشر: وضع الضوابط الدقيقة المتعلقة بالنفقة على المرأة حال إمساكها أو تسريحها، مع الحث على مراعاة جانب الإحسان إليها وتغليب ذلك في كل الأحوال.

قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٣٦ ـ ٢٣٧].

العشرون: الأمر بالتعامل مع المرأة في حدود المعروف والإحسان، وفق حدود عظيمة وضوابط قويمة، وحذر من ظلمها أو تعدي حدود الله التي شرعها لعباده في التعامل معها، سواء حال الاتفاق أو الفراق.

قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ

عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩ ـ ٢٣٢].

الواحد والعشرون: الإكرام بحسن الفراق وتطييب الخواطر في حال إيقاع الطلاق، قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦].

قال المفسرون: أي إذا طلقتموهن فارفعوا لهن بشيء من متعه ينتفعن به جبراً لهن، وتطييباً لخاطرهن، وجبراً لوحشة الفراق والطلاق، وإزالة للأحقاد، على قدر حال الرجل في الغنى والفقر، الموسر بقدر يساره، والمعسر بقدر إعساره، تمتيعاً بالمعروف حقّاً ثابتاً على الذين يحسنون إلى المطلقات وإلى أنفسهم بالطاعة.

وقد ورد في الآية ذكر المحسنين، وفي الآية الأخرى ذكر المتقين ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: ٢٤١].
وفي ذلك حث على أن ينال المُطلِّق هذه المنازل العالية ـ منازل التقوى والإحسان ـ.

الثاني والعشرون: حذر غاية التحذير من رمي المؤمنات المحصنات مما هنَّ بريئات منه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

الثالث والعشرون: تناولت سورة النساء نفي الظلم عن الزوجات، وفيها تنظيم العلاقات الزوجية، وبينت أنها ليست علاقة جسمية وإنما علاقة إنسانية، وأن المهر ليس أجراً ولا ثمناً، بل هو عطاء يوثق المحبة، ويديم العشرة، ويربط القلوب.

وكانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها غيرهم، وإن شاؤوا منعوها الزواج، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ﴾ [النساء: ١٩].

أي: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء كالمتاع، ينتقل بالإرث من إنسان إلى آخر، وترثوهن بعد موت أزواجهن كرهاً عنهن. ولا

يحل لكم أن تمنعوهن من الزواج، أو تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما دفعتموه لهن من الصداق ونحوه. ولا يكون العضل إلا في حال إتيانهن بفاحشة الزنى، والكلام الفاحش وأذيتها لزوجها.

قال ابن عباس: الفاحشة المبينة النشوز والعصيان؛ فلكم حينئذ إمساكهن حتى تأخذوا ما أعطيتموهن.

الرابع والعشرون: وضع الشرع الحكيم الضوابط المتعلقة بالطلاق والعدة والشهود والنفقة، حال الفراق إلى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الطلاق: ٦].

الخامس والعشرون: أمر الزوجة المطلقة بالبقاء في بيت الزوجية رغبة في عودة الصفاء وانتهاء ما بين الزوجين، وذكر بيت الزوجية ونسبه إليها لتبقى فيه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ١].

السادس والعشرون: حدد الطلاق بثلاث، رغبة في عودة الزوجة إلى زوجها حفاظاً على الأسرة والبيت.

قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩].

السابع والعشرون: حدد عدد الزوجات لمن أراد التعدد بأربع نسوة بعد أن كان مُطلقاً لاحد له، وشرطه بالعدل.

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

الثامن والعشرون: حدد للزوجة نصيبها من الميراث مما تركه الوالدان أو غيرهما من أقاربها، على حسب نوع القرابة وفي حدود ما تستحق.

قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝﴾ [النساء: ٧].

التاسع والعشرون: وضع الضوابط الدقيقة لمعالجة النشوز والإعراض، أو نحو ذلك من الخلافات التي قد تقع بين الزوجين.

قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٢٨ ـ ١٢٩].

الثلاثون: أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق.

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها، سيئاً في معاشرتها، فلها أن تفارقه على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئاً من المال، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقه.

الواحد والثلاثون: للمرأة أن تطلب الخلع أو الفسخ، فقد تكره المرأة زوجها إما لنقص في دينه، أو سوء عشرته، أو قد تكون الزوجة مبغضة له، أو لغيرها من الأسباب، فيأبى الزوج أن يطلقها، وهنا يظهر فضل الشريعة ووفائها لجميع الحاجات، حيث جعل للزوجة سبيل شرعي لمفارق الزوج وإن رفض المفارقة، وهو الخلع، وهو فراق الزوج بعوض، وسمى خلعاً لأن المرأة تخلع نفسها من زوجها كما تخلع اللباس، وأصل الخلع قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ـ وقد وبيَّنت السُّنَّة حقَّ المرأة في مفارقة الزوج.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «جاءتِ امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما أنقمُ على ثابت في دِين ولا خُلق، إلاَّ أنِّي أخاف الكفر، فقال رسول الله ﷺ: «فتردِّين عليه حديقتَه؟» فقالت: نعم، فردَّت عليه حديقتَه، وأمره ففارقها [رواه البخاري].

ـ وللمرأة طلب الفسخ من الزوج للحوق ضرر بها من جراء الاستمرار في الزواج لعيب أو مرض لم تعلم به قبل النكاح، وهنا يقع الفسخ دون أن تضطر لدفع مقابل أو عوض بخلاف الخلع.

والخلع فسخ الزواج على وجه لا رجعة معه، إلا برضى الزوجة، وبعقد جديد، ولا يحتسب ذلك من عدد الطلاق.

* ونختم بكلام جامع شامل للشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ حيث قال: يلزم كل واحد من الزوجين معاشرة الآخر بالمعروف من الصحبة الجميلة، وتوفية حقه، وعدم ظلمه؛ فله عليها بذل نفسها، وعدم التكره لبذل ما عليها من استمتاع، وخدمته بالمعروف، ويلزمها طاعته في ترك الأمور المستحبة كالصيام، وسفر الحج، والحج الذي ليس بواجب، وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تدخله أحد إلا برضاه، وأن تحفظه في نفسها وولده وماله، وأما طاعتها له في الأمور الواجبة فألزم وألزم، وعليه لها النفقة، والكسوة، والسكنى بالمعروف، والعشرة، والمبيت، والوطء إذا احتاجت إلى ذلك مع قدرته، وعليه أن يؤدبها، ويعلمها أمر دينها وما تحتاجه في عبادتها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] قالوا: معناه علموهم وأدبوهم.

وعليه أن لا يشـــاتمها، ولا يسبها، ولا يقبح، ولا يهجر من دون سبب، فإن حصل نشوز منها وعظها فإن أصرت هجرها في المضجع ما شاء فإن أصرت ضربها ضرباً غير مبرح، فإن كان نشوزها لتركه حقهـــا ألزم بما عليه ثم هي بما عليها، وإن كان معه ســـواها وجب عليه أن يعدل بينهن في القسم والنفقة والكسوة والمسكن والسفر فلا يخرج بواحدة منهن إلا بإذن البواقي أو بقرعة، وله أن يستمتع منها بما أباحه الله ورســـوله استمتاعاً لا يضرها في دينها ولا بدنها، وله السفر بلا إذنها، ومن العدل إذا تزوج جديدة أن يقيم عندها في ابتداء الزواج ما يزيل وحشـــتها، وقدّره الشارع للبكر سبعاً وللثيب ثلاثاً، وإن شاءت الثيب سبعاً ويقضي لباقي نسائه سبعاً سبعاً فعل.

من أوجه المحافظة على المرأة

فتنة المرأة فتنة عظيمة، بل هي من أعظم الفتن؛ كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ حيث قال: «ما تركتُ بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» [رواه البخاري].

وقد ذكر ﷺ أن فتنة المرأة أول فتنة بني إسرائيل؛ قال ﷺ: «..واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» [رواه مسلم].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مبيناً ضرورة الحفاظ على المرأة وعلة ذلك ـ: لأن المرأة يجب أن تُصان، وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل؛ ولهذا خُصَّت بالاحتجاب، وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت، ما لا يجب في حق الرجل؛ لأن ظهور النساء سبب الفتنة، والرجال قوامون عليهن، والنبي ﷺ يقول: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» [رواه الترمذي].

وفي رواية: «المرأة عورة، وأقرب ما تكون من ربها إذا كانت في قعر بيتها، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» [رواه ابن حبان].

فالإسلام ينظر إلى أن المرأة درة مصونة، وجوهرة مكنونة، والواجب المحافظة عليها، والسعي لها، والقيام بأمرها حتى لا تقع فريسة لضعاف النفوس أصحاب القلوب المريضة، ولهذا جعل سياجاً لحفظها كما الدرة في حرزها، ويتمثّل ذلك المنهج في ما يلي:

أولاً: صيانة للأعراض، والبعد عن الشبه ومواطن الفتنة حرم الإسلام الخلوة بالمرأة الأجنبيه، لما في ذلك من المفاسد التي لا تخفى.

قال عليه الصلاة والسلام: «.. **لا يخلو رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما الشيطان..**» فقام رجل فقال: يا رسول الله، امرأتي خرجتْ حاجّة، واكتُتِبت في غزوة كذا وكذا، قال: «**ارجعْ فحج مع امرأتك**» [رواه البخاري].

ثانياً: حرم الإسلام سفر المرأة لوحدها بدون محرم.

قال ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم..**» [رواه البخاري].

ثالثاً: حذر ﷺ من الدخول على النساء.

قال ﷺ: «**إيَّاكم والدُّخولَ على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيتَ الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**» [رواه مسلم].

وهذه عبارة بالغةُ الشِّدَّة في التحذير.

رابعاً: من أوجه المحافظة على النساء تحريم مس ومصافحة الرجال الأجانب لهن.

قال ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» [رواه الطبراني].

قال ﷺ: «إني لا أصافح النساء» [رواه أبو داود].

وقالت عائشة عن بيعة رسول الله ﷺ للنساء: ما مس رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا أن يأخذ عليها، فإذا أخذ عليها فأعطته، قال: «اذهبي فقد بايعتك» [رواه أبو داود].

خامساً: من إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة؛ فأوجب عليها الحجاب. وذلك بأن تستر جميع بدنها وزينتها عن الرجال.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٥٣].

سادساً: نهى المرأة عن التبرج والسفور؛ محافظة عليها، وصيانة لغيرها من الوقوع في النظر الحرم وما يجر إليه.

قال عليه الصلاة والسلام: «صنفانِ من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلنَ الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليَوجدُ من مسيرة كذا وكذا.» [رواه مسلم].

سابعاً: من إكرام الإسلام لها أن أمر الزوج بالإحسان إلى الزوجة وحسن معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها. وقد وردت أحاديث في ذلك، وكلها حماية وصيانة وإكراماً للمرأة.

ثامناً: نهى الشارع الحكيم المرأة عن الخضوع في القول إن تحدثت مع رجل لحاجة.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝﴾ [الأحزاب: ٣٢].

تاسعاً: من المحافظة على النساء، بقاء أنوثتها وطهارة قلوبهن، وعدم تشبههن بالرجال.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا خرجت المرأة إلى المسجد، فلتغتسل من الطيب كما تغتسل من الجنابة» [رواه أحمد].

فإذا كانت المرأة وهي قاصدة العبادة في أطهر البقاع مأمورة بالحجاب والستر، وترك الزينة والطيب ومخالطة الرجال، واجتنابهم في الطرقات، فكيف يكون حالها وهي قاصدة أماكن أخرى؟!

عاشراً: من إكرام الإسلام للمرأة أن أوجب النفقة على الزوج حتى لا تخرج الزوجة، ولهذا أمرت المرأة بالقرار في بيتها، فقرارها في بيتها عزيمة شرعية، وخروجها منه رخصة تقدر بقدرها؛ وذلك لئلا تفتن أو تُفتن؛ قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وعن عمرة قالت: قالت عائشة: «لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن، كما مُنعت نساء بني إسرائيل»، قلت لعمرة: أومنعن؟ قالت: نعم» [متفق عليه].

وفي رواية: «لو علم النبي ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن من الخروج» قال البخاري: لمنعهن من المساجد.

الحادي عشر: من صيانة المرأة أن لا تخالط الرجال حتى في أماكن العبادة.

فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «خير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها» [رواه مسلم].

الثاني عشر: بقاء المرأة في منزلها، صيانة لها حتى في حال العقوبة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ [النساء: ١٦ - ١٧].

- قيل الحبس في البيت بالمرأة، وخص الإيذاء بالرجل؛ لأن المرأة إنما تقع في الزنى عند الخروج والبروز، فإذا حبست في البيت انقطعت مادة هذه المعصية، وأما الرجل فإنه لا يمكن حبسه في البيت؛ لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه واكتساب قوت عياله، فلا جرم جعلت عقوبتهما مختلفة.

الثالث عشر: أسقط الشارع الجهاد عن المرأة، ولم يوجبه عليها: بل هو من وظائف الرجل المختصة به، وإنما يباح لها الخروج للجهاد عند الحاجة، كالتداوي ونحوه، وفق الضوابط الشرعية.

قالت عائشة: قلت: يا رسول الله، على النساء جهاد؟ قال: «نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة»؛ [رواه أحمد].

الرابع عشر: نهيت المرأة عن اتباع الجنائز سداً للذريعة ودفعاً للفتنة منهن أو بهن.

قالــت أمُّ عطية: «نُهينا عن اتّباع الجنائز، ولم يُعزمْ علينا»؛ [متفق عليه].

الخامس عشر: نهيت المرأة عن زيارة القبور.

عــن ابن عبــاس ـ رضي الله عنهما ـ أن رســول الله ﷺ لعن زائرات القبور. [رواه أبو داود] وكلُّ هذا خوفاً من الوقوع في الفِتنة.

الســادس عشــر: أمرت أن تغض بصرها عــن النظر إلى الرجال الأجانب.

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

السابع عشر: حفاظاً على الزوج من الزلل شرع له غض البصر، وإن وقــع منه وخاف من تجاوز، فله في زوجته حق مباح يغني عن كل ما حرم الله.

عن جابر: أن رسول الله ﷺ رأى امرأة، فأتى امرأته زينب، وهي تمعــس منِيئة لها، فقَضَى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إنَّ المرأة تُقبِل في صورة شـيطان، وتُدبِر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة، فليأتِ أهلَه، فإن ذلك يردُّ ما في نفسه» [رواه مسلم].

وقــال جابر ـ رضي الله عنه ـ: ســمعتُ النبي ﷺ يقول: «إذا أحدُكم أعجبتــه المرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلــى امرأته فليواقعها؛ فإن

ذلك يرد ما في نفسه» [رواه ابن حبان].

الثامن عشر: أوجب الشارع على المرأة الطاعة الكاملة لزوجها في غير معصية طلباً لاستقرار الأسرة والمحافظة عليها.

فقال: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها»؛ [رواه الترمذي].

قوله: «لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»؛ أي: لكثرة حقوقه عليها، وعجزها عن القِيام بشكرها، وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها، فإن السجدة لا تحل لغير الله. وفي هذه الطاعة سعادة الأسرة وصفاءها، واستقرارها

التاسع عشر: أوجب الشارع على الزوجة طاعة زوجها في الفراش لأن ذلك حق من حقوقه، وحتى لا تطمح نفسه لما حرم الله.

قال ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشِه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»؛ [متفق عليه]، وفي رواية لهما: «إذا باتتِ المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وفي رواية: «والذي نفسي بيده ما مِن رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها».

وقال ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته، فلتأته وإن كانت على التنور» [رواه الترمذي].

العشرون: حذر من أن تغضب المرأة زوجها لأن ذلك مدعاة إلى عدم استقرار الحياة الزوجية واستمرارها، وأخبر أن الحور العين تغضب على من تغضب زوجها.

فقال ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله؛ فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»؛ [رواه الترمذي].

الواحد والعشرون: أنزل الله سورة النور ويتعلق بها الكثير من أحكام الأسرة والمحافظة عليها. وفيها من الأحكام والآداب سياج عظيم لحماية المجتمع بأسره، رجالاً ونساء وصغاراً وكباراً.

قال الشيخ بكر أبو زيد ـ رحمه الله ـ: تأمل هذا السر العظيم من أسرار التنزيل، وإعجاز القرآن الكريم، ذلك أن الله ـ تعالى ـ لما ذكر في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنا، وتحريمها غائباً، ذكر ـ سبحانه ـ من فاتحتها إلى تمام الآية الثالثة والثلاثين: أربع عشرة وسيلة وقائية، تحجب هذه الفاحشة، وتقوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف جماعة المسلمين، وهذه الوسائل الوقائية: فعلية، وقولية، وإرادية.

الثاني والعشرون: يعد الإسلام الدفاع عن العرض، والغيرة على الحريم جهاداً يبذل من أجله الدم، ويضحى في سبيله بالنفس،

ويجازى فاعله بدرجة الشهيد في الجنة.

فعن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» وفي لفظ: «من مات دون عرضه فهو شهيد» [رواه أبو داود].

الثالث والعشرون: يعد الإسلام الغيرة من صميم أخلاق الإيمان.

عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد؟! لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن من غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه» [متفق عليه].

وضد الغيور: الديوث، وهو الذي يقر الخبث في أهله، فلا يكون فيه غيرة عليهم، وقد ورد في الإسلام الوعيد الشديد في حق من كان كذلك.

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رســـول الله ﷺ: «ثلاثــة لا ينظر الله ـ عز وجــل ـ إليهم يوم القيامــة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث» [رواه أحمد].

شبه والرد عليها

لا يزال أعداء الإسلام يحاربونه سرّاً وجهاراً، وبكل ما يملكون من قوة منذ انبعاث نور الرسالة في مكة وحتى قيام الساعة، وقد ذكرنا تكريم الأنبياء للمرأة، وعظم منزلتها، إلا أنه قد وردت أحاديث صحيحة متعلقة بالمرأة، طعن المستشرقون وأعداء الإسلام فيها، جهلاً منهم بدلالاتها ومقصودها، وكذلك لما يضمرونه من حقد وعداوة للإسلام والمسلمين، وقد رد علماء الإسلام عليهم بتوضيح بيِّن، ومن الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالمرأة والتي طعن فيها، أو فهمت خطأ من قبل أولئك:

* **أولاً:** حديث: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»:

يقولون: لماذا لم يسمح الإسلام للمرأة أن تتولى على الرجل.

ويرد على افتراءهم: بأنه ليس للمرأة أن تتولى على الرجال، بل ولا على النساء والصبيان، وليس هذا نقصًا في حقها، فليس كل الرجال يصلح للولاية، فضلاً عن النساء، فهذا أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ من كبار الصحابة وفضلائهم، وقد أرشده النبي ﷺ بألا يتأمر على اثنين، ولا يتولى مال اليتيم.

وفـــي حديث: «المرأة راعية في بيت زوجها» أعظم دلالة على أنها ترعى الجانب الذي يناســب طبيعتها ويصلــح لأنوثتها. ولا أعظم علــى الرجل من الائتمان على بيتــه وولده وماله، وهذه فازت بها الزوجة.

* ثانياً: حديث: «دية المرأة على النصف من دية الرجل»:

قالوا: وهذا هضم لمكانتها.

ويرد عليهم بعدة وجوه؛ منها:

كون دية المرأة على النصف من دية الرجل أن هذا ليس فيه انتقاص لكرامة المــرأة أو قدرها، ولا تهاون في الاعتداء عليها؛ وذلك لأن الديــة لا تجب وحدها ابتداء إلا حين القتل الخطأ، أما لو كان القتل عمداً، فإن الذكر والأنثى في ذلك سواء في القصاص.

ومـــا قالوه من الحكم فـــي هذا: أن الرجل يفـــوت بفقده ما لا يفـــوت بفقد المرأة، فهو العائل ـ أو ســـيكون عائـــلاً ـ وهو الذي يتولى النفقة، والدية ليســـت بحال مـــن الأحوال تعويضاً عن حياة الشخص، أو مقابلاً لقيمته، وإنما هي نوع تعويض لأهله عن فقده كعامل منتج، والخســـارة المادية في الأنثى أقـــل منها عند الرجل، حيث إن الرجل يعمل ويحصل دخلاً لأسرته، ففقده يسبب خسارة على أهله وذويه، فكانت الدية في حقه أعظم.

* **ثالثاً**: حديث: «**الشؤم في المرأة والدار والفرس**»:

قالوا: إن الإسلام جعل المرأة نحساً يتشائم منها.

ويرد عليهم بعدة وجوه، منها:

١ ـ قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في تخريج حديث: «**إن يكُ من الشؤم شيء حق، ففي المرأة والفرس والدار**»: والحديث يُعطي بمفهومه ألا شؤم في شيء؛ لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتاً في شيءٍ ما، لكان في هذه الثلاثة؛ لكنه ليس ثابتاً في شيء أصلاً، وعليه فما في بعض الروايات بلفظ: «**الشؤم في ثلاثة**»، أو «**إنما الشؤم في ثلاثة**»، فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة، والله أعلم.

٢ ـ وقيل: معناه: أن هذه الأشياء من أكثر ما يتطير به، فالحديث يحكي واقع الناس وحالهم؛ ولذا قال القرطبي: «وإنما عنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس، فمن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره».

٣ ـ وقيل: إن الشؤم المذكور محمول على ما كان من المرء في تلك الثلاث، بدليل قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع**»؛ [رواه أحمد]، فقد ذكرت هذه الثلاث على سبيل المدح.

❁ رابعاً: حديث: «....أليسَ شهادةُ المرأة مثلَ نصف شهادة الرجل؟»:

قالوا: إن الإسلام امتهن المرأة حين جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

ويرد عليهم بعدة وجوه؛ منها:

١ ـ أن هذا ليس فيه امتهان للمرأة؛ لأن ذلك يرجع إلى اختلاف طبيعة المرأة عن الرجل، والله علل كونه امرأتين بقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فليس في ذلك نقص من منزلتها، ولا لتكريم الرجل، ولكن لهذه العلة المنصوصة، وقد بين علماء التفسير ـ رحمهم الله ـ أن معنى تضل؛ أي: تنسى، والإنسان بنوعيه عرضة للنسيان وللضعف في الانتباه لدقائق الشهادة، والمرأة معرضة لذلك أكثر من الرجال، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة دون أن تنفيه عن الرجل.

والقضايا المالية ونحوها بعيدة عن طبيعة النساء، فقد تنسى مثل ذلك، فأوجب الله امرأتين لتتم الشهادة، ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرى عند النسيان، ومن حكمة الله ـ تعالى ـ أن صفة النسيان ملازمة للمرأة، فذاكرة المرأة أقل من ذاكرة الرجل، وهذه نعمة عظيمة، حيث إن المرأة قد تتعرض لحوادث مؤلمة، ولو لم تنسها

لعاشت حياة كئيبة، وقد أثبت الطب الحديث فرْقاً بين مخ المرأة ومخ الرجل، فيترتب عليه نسيان حال الشهادة أو تأثر، ونحو ذلك.

٢ ـ اتجهت الشريعة الإسلامية إلى تعزيز الشهادة؛ حتى لا تكون عرضة للاتهام، ولذلك عززت شهادة الرجل الواحد نفسه بشهادة رجل آخر، ولم يعتبر ذلك ماساً بكرامة الرجل ما دام ذلك التعزيز أضمن لحقوق الإنسان، وبناء عليه فإذا لم يكن هناك إلا شاهد من الرجال واحتيج في الشهادة إلى المرأة، كان تعزيز شهادة المرأة بشهادة امرأة ثانية جارياً على نفس الأصل الذي يجري على تعزيز شهادة الرجل الواحد بشهادة رجل آخر.

٣ ـ وأيضًا فالشهادة جاءتْ في مقام الاستيثاق في القضايا المدنيَّة والتجارية، والرجل أقدرُ على أداء الشهادة من المرأة؛ إذ المرأةُ عليها قيودٌ وعوائق، قد تمنعها من أداء الشهادة.

٤ ـ أن هناك من الرجال من ترد شهادته ولا يؤاخذ بها، قال تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فالفاسق شهادته مردودة رجلاً كان أو امرأة.

٥ـ شهادة المرأة تُقبل أحياناً وحدها في مثل القضايا النسائية كالرضاعة والولادة، وعيوب ما تحت الثياب ونحوها؛ لأنها أضبط من الرجل في ذلك.

٦ ـ لو قبلت شهادة المرأة في كل شيء كالرجل لحصل محاذير هي في غنى عنها، منها: كثرة خروجها لمواجهة الرجال في المحاكم وغيرها، وهي بهذه الشهادة تدخل باباً واسعاً من الهموم والغموم وربما النسيان فتأثم.

* **خامساً**: حديث: «**يقطع الصَّلاة المرأة والحمار والكلب، ويقي ذلك مثل مؤخرة الرحل**»:

قالوا: إن المرأة تقطع الصلاة، وقرنت في ذلك مع الحمار والكلب، وهذا يدل على مهانتها، وهذا ليس كذلك في الرجل.

ويرد عليهم بعدة وجوه، منها:

١ ـ ليس في الحديث تشبيهُ المرأة بالحمار والكلب الأسود؛ لأن وجود الثلاثة في سياق واحد لا يعني أنها متماثلة في عللها التي تقطع بها الصلاة؛ بمعنى: أنه لا يلزم أن العلة من كون الكلْب الأسود يقطع الصلاة هي نفس العلة المحققة في الحمار أو المرأة، ويدل على ذلك بأن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم؛ كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالجملة الثانية معطوفة على الأولى، ولا تشاركها في خصوصيتها وهي الرسالة، ودلالة الاقتران عند الأصوليين ضعيفة ـ كما هو معروف ـ ولذلك فكون الكلب الأسود شيطانًا ـ كما

جاء في الحديث ـ لا يعني أن الحمار، أو المرأة شيطانان، فقد تكون لهـذه الثلاثة علل مختلفة، وإن جمعها سياق واحد، وإن كانت علـة الكلب منصوصًا عليها في النص دون الباقي، فيدل على أنها تختلف عن الباقي، ولا تماثلها.

٢ ـ ويمكن أن تستنبط علة من كون المرأة تقطع الصلاة بكون مرور المرأة بين يدي المصلي ـ أي: قريباً منه ـ مما قد يثير في الرجل انتباهه، وقد يشرد به عن الصلاة؛ ولذلك كانت المرأة في العموم أشد لفتاً لانتباه الرجل من مرور رجل آخر، لذلك ـ والله أعلم ـ جعلها الشارع مما يقطع الصلاة؛ وذلك حفاظاً على الخشوع في الصلاة من أن ينخرم بمثل ذلك.

* سادساً: حديث النبي ﷺ: «ناقصات عقل ودين».

ويرد عليهم:

أن الحديث يفيد معنى جمال المرأة، وقدرتها على التأثير على عقل الرجل؛ حيث قال ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن» وقالت: يا رسول الله؛ وما نقصان ديننا وعقلنا؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين».

فـكان الحديث في بدايته تليل وتعجب من قدرة المرأة على التأثير على عقل أحكم الرجال، لكن عندما طلبت إحدى النساء أن المعنى فيه إساءة للنســاء سألت النبي عن معنى ذلك النقصان الذي أطلقه النبي ﷺ فـي بداية حديثه، فأخبرها النبـي ﷺ أن هذا النقصان لا يعنـي دنو منزلة المرأة فـي العقل والدين عن الرجل، وإنما يعني ضعف ذاكرة المرأة غالباً في الشـهادة، ولذا احتاجت من يذكرها، ويعني أيضاً من يحدث للمرأة من أمور فـيولوجية خاصة بطبيعتها الأنثوية مما خفف الشـرع عليها أثناء هذه المتاعب الصحبة في ترك الصيام والصلاة.

فعندما فهمت المرأة قصد الشـرع من نقصان العقل والدين، وأنه ليـس إهانة للمرأة ولا إنقاص من قدر عقلها ودينها سـكنت، وكيف تكون كل النساء أنقص في الدين من كل الرجال. وكانت سيدة نساء العالمين مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخديجة ـ رضي الله عنها ـ، وآسـية كلهن يعجز أغلب الرجال أن يقتربوا من درجتهن في العبادة والدين.

قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

أي: الرجال قائمون عليهن بالأمر والنهي، والإنفاق والكسوة والمسكن والتوجيه والرعاية كما يقوم الولاة على الرعية. بسبب ما منحه الله من العقل والتدبير، وخصهم به من الكسب والإنفاق، فهم يقومون على النساء بالحفظ والرعاية والإنفاق والتأديب.

قال المفسرون: والتفضيل للرجال لكمال العقل وحسن التدبير، ورزانة الرأي ومزيد القوة، ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية والشهادة والجهاد وغير ذلك.

ونختتم بما ذكره ـ عز وجل ـ ونهيه عن نظرة مخالفة لأوامر الله ـ عز وجل ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ...﴾ [النساء: ٣٢].

قال الشيخ بكر أبو زيد ـ رحمه الله ـ في كتابه حراسة الفضيلة: فإذا كان هذا النهي ـ بنص القرآن ـ عن مجرد التمني، فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة، وينادي بإلغائها، ويطالب بالمساواة، ويدعوا إليها باسم المساواة بين الرجل والمرأة.

دور المرأة في الدعوة إلى الله

لقد كان للمرأة دور بارز وأثر واضح في مسيرة دعوة الأنبياء، فقد تحملت الأذى من الكفار، ونالها ما نال غيرها من المؤمنين في كل زمان ومكان، على اختلاف الرسل والأنبياء.

ـ هذا أبو الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ يدعوا قومه في بابل في أرض العراق، ويقف في وجه النمرود، حتى انتهى الأمر بنجاته ـ عليه السلام ـ من النار بمعجزة إلهية حيث ألقوه في النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، مما دعاه إلى الهجرة إلى بلاد الشام، فكانت سارة زوجته، والمؤمنة بدعوته هي رفيقة جهاده، وصاحبته في هجرته إلى الشام، ثم إلى مصر، ليعودا مرة أخرى إلى الشام فيستقرا هناك وليبدأ فصل من أعظم فصول تاريخ الإنسان على يد إبراهيم ـ عليه السلام ـ تسانده زوجه سارة، وتقف إلى جنبه في جهاده ودعوته وهجرته.

ـ ثم يأتي دور هاجر الزوجة الثانية لإبراهيم ـ عليه السلام ـ التي توكلت على الله ـ عز وجل ـ وإبراهيم يتركها في واد غير ذي زرع عند البيت المحرم، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي

بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ـ وهاهي مريم أم المسيح التي ذكرها الله ـ عز وجل ـ في القرآن في آيات عديدة مثنياً عليها، ورافعاً لقدرها، وذاكراً لقصتها لتكون مثالاً يحتذى به في الطاعة والعبادة، والطهارة والعفة، والصبر على ما يجري من أقدار الله ـ عز وجل ـ.

ـ وتذكر الآيات الكريمة قصة أم موسى ـ عليه السلام ـ ورضاها وقبولها للأمر العظيم: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧].

ـ ويذكر الله ـ عز وجل ـ في كتابه زوجة فرعون (آسيا)، ومريم أم المسيح عيسى ـ عليهم السلام ـ، ويعرضهما نموذجاً ومثلاً أعلى، للذين آمنوا بقوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم ١١ ـ ١٢].

ـ وكما كان للمرأة دورها في حياة إبراهيم، وموسى، وعيسى، نجد دورها واضحاً وعظيماً في حياة النبي محمد ﷺ ودعوته؛

فلقد جسدت هذا الدور أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ التي كانت سيدة مجتمع مرموقة في مكة المكرمة، وثرية صاحبة مال وثروة وتجارة ورأي، لقد كانت أول من حدثها النبي ﷺ ـ بعد علي ـ رضي الله عنه ـ بدعوته، فآمنت به وصدقته، وبذلت أموالها الطائلة لنصرة دعوته، ولاقت معه صنوف الأذى والاضطهاد على امتداد عشر سنوات من حياتها، ودخلت معه الشعب، وتحملت معاناه الحصار الذي دام ثلاث سنوات.

وقد ذكرها النبي ﷺ لعائشة، بقوله: «ما أبدلني الله خيراً منها، كانت أم العيال، وربة البيت، آمنت بي حين كذبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس، ورزقت منها الولد، وحرمت من غيرها». ويتحدث عنها مرة أخرى، فيقول: «إني لأحب حبيبها».

ـ أما بقية أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ فقد لقين العنت والمشقة في حياتهن، وضحين بالغالي والنفيس لرضا الله ـ عز وجل ـ وفي سبيل دعوته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

ذكر المفسرون: أن سبب نزول هذه الآية: أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ سألت رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة أو غير ذلك، فاعتزل النبي ﷺ نساءه شهراً، ثم أمره الله ـ عز وجل ـ أن يخبرهن بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهن والعمل بطاعة الله وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذي يقسم لهن، فصبرن ـ رضي الله عنهن ـ واحتسبن البقاء مع رسول الله ﷺ على متع الدنيا الزائلة.

ـ وقد لاقين الشدائد الأخرى، ومن ذلك ما جرى من البهتان والكذب على أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ في حادثة الإفك، حتى برأها الله ـ عز وجل ـ من فوق سبع سماوات.

ـ ودور أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله ونقل العلم إلى الناس دور لا يغفل ولا ينسى، ويكفي ما قامت به عائشة ـ رضي الله عنها ـ من نقل أحاديث النبي ﷺ إلى الأمة.

ـ وللمرأة في ظل الإسلام دور في الدعوة إلى الله، وفي العلم والعمل والعبادة، وفي تربية الرِّجال، فكان أول من آمن بالله امرأة، وأول من سجد لله امرأة، وأول شهيدة امرأة.

تكريم المرأة في الإسلام

أكد الإســلام على تكريم الإنســان ـ ذكــراً كان أو أنثى ـ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ـ فالذكر والأنثى علـى درجة واحدة مـن القدر عند الله ـ تعالى ـ، بل إن الله ـ عز وجل ـ يذكر أنه خلق آدم ـ عليه السلام ـ وخلق منهـا زوجها، قال تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام:

- **أولاً: المساواة في التكاليف الإيمانية:**

ـ المرأة فـي ميزان الإسلام مـن حيث التكليف كالرجل، فالأصل في الأدلة الشرعيـة التكليفية التسويـة بين الجنسين، وعـدم التفريق بينهما؛ إلا ما خصه الدليل بجنس الرجل، كالإمامة الكبرى والصغرى والجهاد، ونحوها من العبادات التي تليق بالرجل، وتناسب طبيعته، وهــي تحمد إن اســتجابت لأوامر الله، وتــذم إن تنكبت الصراط الســوي؛ كما قال تعالــى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ

عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [غافر: ٤٠]، فهي مكرمة كتكريم الرجل، ومكلفة مثله إلا أن الإسلام راعى خصائصها، فجعل فروقًا بينها وبين الرجل؛ مما يزيد ذلك حفاظًا لها وكرامة.

ـ جعل الإسلام المساواة في أغلب تكاليف الإيمان بين الرجل والمرأة، فإيمان النساء كإيمان الرجل: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ـ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝ ﴾ [محمد: ١٩].

ـ جعلها الله ـ تعالى ـ قرينة للرجل في الطاعة والعبادة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ـ والمرأة تُغير المنكر إن كان في استطاعتها، وكان تغييرها للمنكر لا يأتي بمنكر أعظم منه، وقد ثبت في البخاري: أن امرأة قالت في إمامهم الذي كانت تنكشف بعض عورته؛ لقصر ثوبه: «ألا تغطون عنا استَ قارئكم»، وأيضًا لدخولها في عموم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ...﴾ إلى قوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩]، وعموم قوله: «من رأى منكم منكرًا...».

ـ المرأة تجاهد مع الرجل، وتخرج للغزو إن لم تكن مفسدة، وكان ثمة حاجة للنساء؛ كما جاء في مسلم من حديث أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى»، وقول أم عطية: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات»، لكن العلماء قيدوا ذلك بشروط: أن يحتاج إليهن. وأن يؤمن الفتنة بهن. وألا يكن ثمة خوف عليهن من الوقوع في يدي الأعداء.

• **ثانيا: التقوى مقياس التفاضل:**

كرم الله ـ عز وجل ـ المسلم، وجعل التفاضل ومقياسه بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

ـ والأصل في الإسلام، أن البشر جميعاً سواسية أمام الله ـ عز وجل ـ: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝﴾ [الواقعة: ٤٩ ـ ٥٠].

ـ وقد ساوى ـ جل وعلا ـ بين الرجل والمرأة في كثير من الآيات في القرآن العظيم في الجزاء الأخروي، وإن دل على شيء فإنما يدل على أن المرأة كالرجل، مكلفة بالتكاليف الشرعية، مأمورة بالواجبات إن فعلتها أثيبت، وإن تركتها عوقبت، فإذا احتمل الرجل نار الهجير، واصطلى جمرة الحرب، وتناثرت أوصاله تحت ظلال السيوف، فليس ذلك بزائدةمثقال حبة عن المرأة إذا وفت لبيتها، وأخلصت لزوجها، وأحسنت القيام على أولادها.

ـ وتأمَّل قول الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝﴾ [التحريم: ١٠] ترى هنا أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما أراد أن يضرب مثلاً للذي آمنوا رجالاً ونساء لم يذكر اسم نبي، أو صحابي، أو رجل صالح، وإنما ضَرَب المثل بامرأتين، وهذا أعظمُ تكريم للمرأة، وهو أن نموذج الإيمان يتمثل في هاتين المرأتين الصالحتين.

عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة، قال فما تحوز - تنحى وتنازل - له عن فراشه، فقال: «أتدرون من شهداء أمتي؟» قالوا: قتل المسلم شهادة، قال: «إن شهداء أمتي إذا لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة، يجرها ولدها بسرره إلى الجنة».

• ثالثاً: المساواة في الجزاء الأخروي:

- ساوت الشريعة بين الرجل والمرأة في الجزاء الأخروي، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ [النحل: ٩٧].

- كما لم يفاضل بين الرجال والنساء في الأجر؛ إذ بين الله - تعالى - أنه لا يضيع جهد من عمل عملاً صالحاً ذكراً كان أو أنثى، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾ [غافر: ٤٠].

- وقد ينص القرآن على ذكر النساء بعد الرجال للتنبيه على المساواة في التكليف، ومن ذلك حديث أم سلمه - رضي الله عنها

- الذي راوه الترمذي: قالت يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة، فأنزل الله: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

- ويقرن الله - عز وجل - بالرجال والنساء في عامة الأوامر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢].

وقال جل ثناؤه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

- **رابعاً: صيانة العلاقة الزوجية:**

- وهذه الزوجية مما امتن الله - عز وجل - به على البشر، وذكرهم بها كثيراً، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١] فالعلاقة الزوجية من آيات الله، فكلا الزوجين سكن يأوي إليه قلب الآخر، والعلاقة الحقيقية قائمة على المودة والرحمة، لا على مجرد قضاء الشهوة، وليست قائمة على البطش والقهر، وعظم ـ عز وجل ـ عقد الزواج وأنه من أعظم العقود والمواثيق؛ فقال بحق الزوجات: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١].

• خامساً: الثناء على الصالحات:

ـ كما قص الله ـ عز وجل ـ في القرآن الكريم على المؤمنين قصص الأنبياء الكرام، والرجال الصالحين، فلقد ذكر شيئاً من أخبار فضليات النساء ومؤمناتهن، تأتي على رأسهن مريم والدة نبي الله الكريم عيسى، التي سميت سورة من سور القرآن الكريم باسمها ـ سورة مريم ـ، وفيها ذكر الله ـ عز وجل ـ قصة حملها المعجز العجيب بنبي الله عيسى.

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١٢].

ـ وذكــر ـ جل وعلا ـ كذلك قصــة أمها (حنة زوجة عمران)، وكيــف نذرتها لعبــادة الله منــذ حملت بهــا، وذكــر أيضاً قصــة والــدة النبي موســى ـ عليه الســلام ـ، وقصة المرأة الصالحة آسية زوجة فرعون كل ذلك تأكيد من القرآن على أن الإيمان والصلاح لا علاقة له بذكورة أو أنوثة، وتصحيح منه لظن من قد يظن مخطئا أن الأنوثة حائل دون بلوغ مراتب التقوى العالية، وأن النساء لا يصلــن إلى مــا يصله الرجال من رضوان الله ـ تعالى ـ.

ـ وقد ذكر الله ســورة كاملة سماها باسم (مريم)، وأخرى باسم (النســاء)، وثالثة تسمى ســورة الطلاق (النســاء الصغرى) وغير ذلك.

• **سادساً: التقدير والاحترام:**

المرأة في الإســلام هي عرض يصان، ومخلوق ضعيف يرحم، قال ﷺ: «استوصوا بالنســاء خيراً..» [رواه مسلم] وهي تشمل طفولة وكهولة، وهي: أم وزوجة، وأخت وبنت، وعمة وخالة...

ـ والإســلام لا ينظر إلى الرجل والمرأة على أن كلًا منهما بديل عن الآخر، وإنّما يرى أنهما يُكملان بعضهما البعض، وهذا مراعاة لمبدأ توزيع العمل الذى اقتضته الحكمة الإلهية، حيث تعوض المرأة جوانب النقص في الرجل، ويوفر الرجل ما تفتقر إليه المرأة.

ـ وقد أكد الإسلام احترام شخصية المرأة المعنوية، وسواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع العقود: كحق البيع والشراء، وحق الدائن والمدين وغير ذلك.

• **سابعاً: الحقوق المالية:**

لما ذكر ـ تعالى ـ حكم أموال اليتامى وصله بأحكام المواريث وكيفية قسمتها بين الورثة، أفرد ـ سبحانه ـ ذكر النساء بعد ذكر الرجال، ولم يقل للرجال والنساء نصيب، للإيذان بأصالتهن، ودفع ما كان العرب في الجاهلية من جبروتهم وقسوتهم لم يكونوا يورثونهم. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝﴾ [النساء: ٧].

ـ جعل الإسلام للمرأة حق الميراث، ولم يكن لها حق فيه قبل الإسلام؛ قال تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝﴾ [النساء: ٧].

ونجد في الشريعة أن هناك أربعاً وعشرين حالة ترث فيها المرأة أكثر من الرجل، وهناك حالات تساوي الرجل في الميراث، وفي

حالات يزيد فيهما نصيب الرجل من الميراث، وكل ذلك من حكيم عليم.

• ثامناً: التعليم للجميع:

كان ﷺ يخص النساء في خطبة العيدين بموعظة موجهة لهن.

بل وجعل لهن يوماً يجتمعن فيه ليعلمهن، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: جاءت امرأة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فعلمهم مما علمه الله» [رواه البخاري].

• تاسعاً: الحقوق العامة:

جعل المساواة في الموالاة والتناصر: قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

والموالاة في هذه الآية الكريمة قائمة بين المؤمنين والمؤمنات لقيامهم بما أوجب الله عليهم من طاعته.

ـ وأما المساواة بين المؤمنات فقد أزال الإسلام الفوارق بين النساء، ومزق حجبها، كما مزقها بين الرجال، فتطامنت الرؤوس،

وتساومت النفوس، فلم يكن بين المرأة والمرأة إلا الخير تتقدم به، أو العمل الصالح تسبق إليه، فإما أن تدل بعرض طارف، أو تعتز بحسب قديم، ما لا يقدمها أنملة، ولا يغني عنها من الله شيئاً.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً».

ـ المرأة في تملك الحقوق شأنها أمام الشرع شأن الرجل تماماً إذا أحسنت أو أساءت؛ يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

ـ كذلك ساوت الشريعة بينهما في الجزاء، وقررت أن يقتل الرجل بالمرأة؛ قال جل وعلا: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يذكر الرجال، قالت: فلم يرعني - أي: يفزعني ويفاجئني - منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر، قالت: وأنا أسرح شعري فلففت شعري، ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر: «يا أيها الناس، إن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى آخر الآية: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]».

- ذم الله - عز وجل - بعض النساء لسخريتهن من بعضهن؛ حفاظاً على حقوق المرأة وكرامتها وعدم لمزها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

- والمرأة تجير الرجل وتؤمنه؛ كما جاء في حديث أم هاني: «قد أجرنا من أجرتِ» [رواه البخاري].

وفي الحديث، قال ﷺ: «وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم» [رواه مسلم].

- وتذبح المرأة الذَّبيحة، ويؤكل من ذبيحتها، كما جاء في البخاري عن نافع سمع ابن كعب بن مالك يخبر ابن عمر: أنَّ أباه أخبره:

أن جارية لهم كانت ترعى غنماً بسلع، فأبصرت بشاة من غنمها موتًا، فكسرت حجرًا فذبحتها، فقال لأهله: لا تأكلوا حتى آتي النبي ﷺ فأساله، أو حتى أرسل إليه من يساله، فأتى النبي ﷺ أو بعث إليه، فأمر النبي ﷺ بأكلها.

ـ المرأة تبايع كما يبايع الرجل، فقد أخذ رسول الله ﷺ البيعة من النساء: فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالت: «وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها»، وعن أم عطية قالت: بايعنا النبي ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الممتحنة: ١٢]، ونهانا عن النياحة...».

• **عاشراً: مشاورة المرأة:**

ـ للرجل أن يستشير المرأة فيما تعلمه وتفهم فيه، أو يظن أنَّ لها به علمًا؛ فقد استشار الرسول ﷺ بريرة في حديث الإفك، فقال لها: «**يا بريرة، هل رأيت منها شيئًا يَرِيبُك؟**»، فقالت بريرة: «لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرًا أَغْمِصُهُ عليها قطُّ أكثر من أنَّها جارية حديثة السن تنام عن العجين، فتأتي الدَّاجِن فتأكله...».

وكذلك ما جرى له ﷺ يوم الحديبية عندما استشار أم المؤمنين أم سلمة ونزل على رأيها، فكان الرأي الحكيم الموفق.

ـ كما أن للذكر في مراحل عمره المختلفة طفلاً وأخاً وأباً وجدّاً؛ حقوقاً خاصة وعامة، وإن للأنثى في مراحل عمرها المختلفة: طفلة وأختــاً وأماً وجدة حقوق أيضاً، بل ربما زادت الحقوق وقدمت الأم على الأب في البر والأخت على الأخ في الصلة.

آيات محكمات في تكريم المرأة

وردت في كتاب الله الكريم، جملة من الآيات، تدور عن المرأة في جميع أطوارها وأحوالها، وكلها تجمع للمرأة المسلمة خيري الدنيا والآخرة ومنها:

- قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

- وقال - تعالى - في الآية الأخرى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

- وقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

- وقال تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ـ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

ـ وقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧].

ـ وقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل: ٧٢].

ـ وقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ـ وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ـ وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

ـ وقال تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور: ١٢].

ـ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝﴾ [البروج: ١٠].

ـ وقال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٧٣].

ـ وقال تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ [الفتح: ٥].

ـ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [الحديد: ١٢].

ـ وقال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝﴾ [نوح: ٢٨].

الفهرس

الإهداء ٥
المقدمة ٧
تعريف النبي والرسول ٩
لماذا الأنبياء؟ ١٠
من هي المرأة؟ ١٣
المرأة عند اليهود ١٥
المرأة عند النصارى ١٧
المرأة عند اليهود ٢٠
المرأة عند الأمم السابقة ٢٢
المرأة في أوربا الحديثة ٢٥
المرأة العربية في الجاهلية ٢٧
الأنبياء والمرأة ٣٢
آدم ـ عليه السلام ـ ٣٥
نوح ـ عليه السلام ـ ٣٨
إبراهيم ـ عليه السلام ـ ٤٠

إسحاق ـ عليه السلام ـ ٤٦
لوط ـ عليه السلام ـ ٤٩
إسماعيل ـ عليه السلام ـ ٥١
يعقوب ـ عليه السلام ـ ٥٤
يوسف ـ عليه السلام ـ ٥٦
أيوب ـ عليه السلام ـ ٦١
موسى ـ عليه السلام ـ ٦٤
سليمان ـ عليه السلام ـ ٧٤
زكريا ـ عليه السلام ـ ٧٩
يحيى ـ عليه السلام ـ ٨١
عيسى ـ عليه السلام ـ ٨٣
محمد ﷺ ٨٦
الأم ٨٨
مكانة الأم في الإسلام ٩٢
الأخت في الإسلام ١٠٣
الأخت في حياة النبي ﷺ ١٠٨
الزوجة في حياة الأنبياء ١١٠
الزوجة في القرآن ١١٥

الزوجة في حياة النبي ﷺ ١١٨
معاملته ﷺ مع زوجاته ١٣٦
حقوق البنت ٢١٧
النبي ﷺ مع بناته ٢٣٣
النبي ﷺ مع حفيداته ٢٤٨
النبي ﷺ وعامة النساء ٢٥٣
حق المسلمة في الحياة الزوجية ٢٩١
من أوجه المحافظة على المرأة ٣٠٨
شبه والرد عليها ٣١٩
دور المرأة في الدعوة إلى الله ٣٢٨
تكريم المرأة في الإسلام ٣٣٢
آيات محكمات في تكريم المرأة ٣٤٦
الفهرس ٣٥١

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٣-٧٢٢-١
مطابع دار القاسم

Dar AL-qassem
1002868
SR 14.00